الفصـل الرابـع

مفهوم التغير الاجتماعي
لدى تيار التغيير الثوري الحركي
الشيخ حسن البنّا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين

تمهـيـد:

تأسس تـيار التغيير الثوري على مشارف ثلاثينيات القرن العشرين عـلى يد الشيخ حسن البنّا الذي يعدّ رائداً للحركة الإسلامية التجديدية المعاصرة[1]. وقد مثلت جماعة "الإخوان المسلمين" كبرى الحركات الإسلامية الحديثة، حيث قامت بدور مهم في تجديد الإسلام في هذا القرن[2]. وقادت حركة الإحياء الإسلامي ضد الهجمة الاستعمارية الحديثة التي تجسدت في صورة الاحتلال الأوروبي للبلاد العربية والإسلامية وما زاملها من انتصار للتيار التغريبي في عالم الفكر والثقافة، وقد قاد ذلك إلى استثارة روح المقاومة الإسلامية التي ظهرت في صورة تنظيمية ثورية تمثلت في جماعة الإخوان المسلمين التي أصبحت أوسع تنظيمات الإصلاح الإسلامي انتشاراً بعالمي العروبة والإسلام في العصر الحديث[3].

والواقع أن هذا التيار الثوري الذي تمثل في جماعة «الإخوان المسلمين» كان ولا يزال يعبر عن أكبر الجماعات الإسلامية السنية في العالم العربي حتى

---

(1) رزق، جابر. **الدولة والسياسة في فكر حسن البنا**، المنصورة، الوفاء للطباعة والنشر، 1985م، ص55.

(2) ابن محسن، حسين. **الطريق إلى جماعة المسلمين**، المنصورة، الوفاء للطباعة والنشر، 1990م، ص349.

(3) عمارة، محمد. **التراث في ضوء العقل**، بيروت، دار الواحة، ط1، 1980م، ص177.

اليوم وأكثر الجماعات الإسلامية انتشاراً وتأثيراً في الحياة السياسية والاجتماعية في العديد من الساحات العربية على اختلاف أنظمتها السياسية وتنوّعها[4]. فبرغم أن الحركة نشأت في مصر إلا أن تأثيرها الروحي والسياسي كان واضحاً في كل البلاد العربية تقريباً، كما أثرت في بعض البلدان الإسلامية[5]. حيث ظهرت منظمات مماثلة لها في بلدان أخرى، وإن لم تكن قد ارتبطت معها بصورة تنظيمية إلا أنها على الأقل كانت تستلهم فكر الجماعة[6].

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت لبعض ممارسات حركة الإخوان المسلمين، إلا أن دعوتها في مضمونها عبرت عن حركة إسلامية تدعو إلى الرجوع إلى الإسلام والأخذ بشعائره، وكما يقول أحمد أمين: (كانت تعاليمهم كما في قانونهم، العمل على تكون جيل جديد يفهم الإسلام فهماً صحيحاً ويعمل بتعاليمه ويوجه النهضة إليه، حتى تكون مظاهر حياة الأمة كلها مستمدة من روحه، ومرتكزة على أصوله. وقد نجحت في نشر تعاليمها، لأنها وُجدت في زمن ضل فيه الشباب وحار واحتاج إلى زعيم يرشده)[7]. يضاف إلى ذلك أن ظهور الحركة في مناخ سريع التغير وشديد الضغط على كل مستويات الحياة، وتقديمها لغة عالية التأثير للأيديولوجية التي ناشدت بشكل

---

(4) المقالح، محمد محمد. **جماعة الإخوان المسلمين: الخلفية العقائدية للموقف من الحاكم**، ورقة عمل، ندوة "الأصوليات الدينية وحوار الحضارات": المركز العام للدراسات والبحوث والإصدار، اليمن، الإسلاميون في اليمن، 12-16 يونيو 2002م، ج2، ص 294.

(5) انظر: القرضاوي، يوسف. **الإخوان المسلمون: 70 عاماً في الدعوة والتربية والجهاد**، القاهرة: مكتبة وهبة، 1999م، ص29-30

- رزق. **الدولة والسياسة في فكر حسن البنا**، مرجع سابق، ص11-12

- دكمجيان، ريتشارد هرير. **الأصولية في العالم العربي**، ترجمة عبد الوارث سعيد، المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، 1992، ص119.

(6) Voll, John Obert. *Islam: Continuity and Change in the Modern World*, 1982, p. 175.

(7) أمين، أحمد. **يوم الإسلام**، القاهرة: مكتبة النهضة الإسلامية، 1952م، ص154-155.

واسع جداً وبأسلوب سياسي قاعدة اجتماعية واعية[8]. كان سبباً في انتشار الحركة على نطاق واسع.

ويبدو أن نجاح تيار الإخوان الثوري، وما حققه من انتشار واسع، كان نتيجة لتميزه المنهجي عن تيارات الفكر الإسلامي السابقة، حيث خرج بالحركة الإسلامية من نطاق الفكر إلى نطاق العمل المتواصل، وإن ظلت تنتج فكراً، ولكنه لم يعد يشكل كل الحركة، فالحركة وفقاً للرؤية التي طرحها حسن البنّا أصبحت عملاً على مستويات عدة: عمل فكري تنويري، وعمل شعبي محتسب، وعمل جماعي منظم. وكل هذا يستهدف تجديد الإسلام[9]. حيث حدد حسن البنّا الأسس التي قام عليها تيار التغيير الثوري بقوله إن (دعوة الإخوان المسلمين بدأت خالصة لوجه الله مقتفية أثر الرسول الأعظم ﷺ ... متخذة القرآن منهاجها...) و (يعتقد الإخوان المسلمون أن الطريق الوحيد للإصلاح هو أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام فتطبقها تطبيقاً سليماً، وأن تقتبس من كل فكرة قديمة أو حديثة، شرقية أو غربية ما لا يتنافى مع هذه التعاليم ويكون فيه الخير للأمة)[10].

خلاصة القول إن حركة الإخوان المسلمين نشأت حركة دينية اجتماعية، حددت هدفها في التغيير الاجتماعي الشامل اعتماداً على الأسلوب الثوري الجهادي والمنهج الحركي التنظيمي، واستناداً إلى مرجعية إسلامية في مواجهة الحركة الوطنية القومية التي جسدت فكر التيار العلماني واستلهمت أيديولوجيتها من الفلسفات المادية. ويتناول هذا الفصل أولاً السياق الاجتماعي والفكري للشيخ حسن البنّا مؤسس حركة "الإخوان المسلمين"، ورائد تيار التغيير الثوري الحركي، وأبرز من عبّر عن فكر هذا التيار في

---

(8) Humphreys, R. Stephen. "The Contemporary Resurgence in the Context of Modern Islam," in Hillal, Ali E, ed. *Islamic Resurgence in the Arab World*. 1982, p. 77.

(9) القرضاوي، يوسف. **الإخوان المسلمون: 70 عاماً في الدعوة**، مرجع سابق، ص31-32.

(10) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1986م، ص 162، 299.

العصر الحديث. كما يستعرض فكر حركة الإخوان المسلمين ونظرتها إلى المجتمع، ثم يناقش وجهة نظر الشيخ حسن البنّا في التغير الاجتماعي، وما طرحه من تصورات حول الإحياء الإسلامي والنهضة الإسلامية وغيرها من القضايا التي قدمت معاً رؤية متكاملة لمختلف أبعاد مفهوم التغير الاجتماعي في تصور البنا.

أولاً: السياق الاجتماعي والفكري للشيخ حسن البنّا

تميز الشيخ حسن البنّا* بملامح الشخصية الآسرة "الكارزمية" التي يشهد بها معظم معاصريه من أتباعه وخصومه على حدٍ سواء[11]. وقد عُرف عنه اتصافه ببلاغة الخطباء وحنكة السياسيين، وتميزت شخصيته بالعقل المستنير والفهم المشرق الواسع والزهد والقناعة والتواضع[12]. ولم يكن حسن البنّا مفكراً إسلامياً فحسب، ولكنه كان زعيماً إسلامياً شعبياً، أسس دعوة وكون حركة وأنشأ جماعة[13]. وقد رأى عمر التلمساني أن الشيخ حسن البنّا كان داعية مختلفاً عمّن سواه، حيث قرن القول بالعمل، وأن أسلوبه العملي في

(*) هو حسن عبد الرحمن البنا، ولد بمدينة المحمودية بمحافظة البحيرة في مصر عام 1906م، كان أبوه عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي من العلماء المشتغلين بعلوم السنة، وقد تلقى حسن البنّا علومه الأولية في مدرسة الإرشاد الدينية، ثم درس بدار المعلمين بدمنهور. أتم البنا حفظ القرآن الكريم قبل سن الرابعة عشرة من عمره، اطلع البنا على كتب التفسير والفقه والحديث وحفظ متوناً في اللغة والفقه والتوحيد والمنطق. ثم انتسب إلى دار العلوم عام 1923م، وتخرج منها عام 1927م، وعمل مدرساً بالإسماعيلية، حيث بدأ في تشكيل أول نواة للإخوان المسلمين في مارس 1928م، ثم انتقل بالجماعة إلى القاهرة عام 1932م. لقي الشيخ حسن البنّا ربه شهيداً عام 1949م.
لمزيد من التفاصيل:
- البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص13-17.
- أبو فارس، محمد عبد القادر. **الفقه السياسي عند الإمام الشهيد حسن البنّا**. طنطا: دار البشير للثقافة والعلوم، ط2، 2001م، ص14-16.

(11) دكمجيان. **الأصولية في العالم العربي**، مرجع سابق، ص119.

(12) الندوي، أبو الحسن. "مقدمة" **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص7.

(13) رزق. **الدولة والسياسة في فكر حسن البنّا**، مرجع سابق، ص7

مجال الدعوة الإسلامية لم يسبقه أو يصل إليه أحد من الدعاة في القرون الأخيرة[14].

ويُنظر إلى حسن البنّا على أنه مجسد الإحيائية الإسلامية السنية في القرن العشرين، حيث كان تجسيداً فريداً للروحاني الصوفي، والعالم المسلم، والقائد الحركي، الذي يمتلك قدرة نادرة على تحريك تأييد الجماهير من خلال ترجمة المبادئ العقدية إلى عمل اجتماعي[15]. وربما ساعد البنا على امتلاك مثل هذه القدرة القيادية العالية مجموعة من العوامل، فبالإضافة لما تميزت به شخصيته من ملامح القيادة الآسرة، كان البنا -كما يشهد الشيخ مصطفى المراغي- رجلاً غيوراً على دينه يفهم الوسط الذي يعيش فيه ويعرف مواضع الداء في جسم الأمة الإسلامية ويفقه الإسلام، بالإضافة لاتصاله بالناس اتصالاً وثيقاً على اختلاف طبقاتهم، كما أنه شغل نفسه بالإصلاح الديني والاجتماعي على طريقة السلف[16].

وعلى الرغم من استغراقه في التعبد والتصوف خلال سنوات صباه -ما بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة- فإن ذلك لم يشغله عن المشاركة في الحركة الوطنية المناهضة للاستعمار، حيث شارك في مظاهرات واضطرابات الطلاب في ثورة 1919[17]. وكذلك كان البنا مستوعباً لقضايا عصره في العالم العربي والإسلامي وكان مطلعاً على الأحداث العالمية[18]. وكما مهدت النشأة الدينية والتربية الصوفية لتشكيل ملامح شخصية البنا، ورسخت الجذور الأولى في تكوينه العقلي، كانت مرحلة انتقاله إلى القاهرة والتحاقه بكلية دار العلوم (1923-1927) عاملاً جوهرياً في بلورة تكوينه الفكري والروحي. حيث كانت تلك الفترة تموج بكثير من الأحداث السياسية والثقافية والاجتماعية التي أثرت

---

(14) التلمساني، عمر. **الملهم الموهوب أستاذ الجيل "حسن أحمد عبد الرحمن البنا"**. القاهرة: دار الأنصار، ب ت، ص12.

(15) دكمجيان. **الأصولية في العالم العربي**، مرجع سابق، ص120.

(16) مورو، محمد. **هكذا تكلم حسن البنّا**، القاهرة: دار الروضة للنشر، 2000م، ص48.

(17) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص28-32.

(18) أبو فارس. **الفقه السياسي عند الإمام الشهيد حسن البنّا**، مرجع سابق، ص14.

تأثيراً بالغاً على المجتمع، كما أثرت كثيراً على تفكير البنا وشعوره، مما جعله يعتزم السير في طريق الإصلاح الاجتماعي[19].

حينما انتقل الشيخ حسن البنّا إلى القاهرة، كان المجتمع المصري والعالم الإسلامي كله يعيش مرحلة تحول تاريخية بدأت منذ سقوط الخلافة الإسلامية رسمياً سنة 1924. وكان معنى هذا أن المنحنى الإسلامي قد هبط بشدة بعد أن فقدت الأمة آخر أشكال الوحدة. وكان لهذا أثره الكبير على المسلمين كماً ونوعاً. وكانت معظم بلدان العالم الإسلامي قد باتت خاضعة للاستعمار وتتعرض لعملية اختراق سياسي واقتصادي وثقافي تستهدف القضاء على ثوابت الإسلام وملامح الحضارة الإسلامية[20]. وهكذا تزامن انتقاله إلى العاصمة مع ما شهده المجتمع المصري من تحولات اجتماعية وسياسية عميقة وقوية. وكان أول ما لمحه البنا من تلك التحولات، مظاهر التحلل الفكري والتحلل الأخلاقي الذي لم يعهده في الريف -على حد قوله- ومن ثم صدمته هذه المظاهر، مثلما اصطدم بقوة التيار العلماني في مواجهة الدين والتقاليد الاجتماعية المستمدة منه[21].

ويكشف اصطدام حسن البنّا بمثل هذه التغيرات عن حدة التناقضات التي أصابت المجتمع المصري في تلك الفترة، حيث ظهرت في الاختلافات الثقافية والتباين الشديد بين قطاعات المجتمع، كما عبرت عن شدة احتدام الصراع بين التيار العلماني المبشر بقيم الحضارة الغربية وبين التيار الديني صاحب الجذور العميقة في المجتمع المصري. وعلى ذلك لا يمكن اعتبار ما استعرضه البنا من المشكلات الاجتماعية الأكثر خطورة في نظره، تمثل وجهة نظره الشخصية كريفي متدين فقط، حسبما يفترض ريتشارد ميتشل[22]. ولكنها شكلت في الواقع نظرة موضوعية لملامح التحول الاجتماعي السريع الذي

---

(19) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص65.

(20) مورو، محمد، **هكذا تكلم حسن البنا**، القاهرة: دار الروضة للنشر، 2000م، ص87-88.

(21) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص56-57.

(22) Mitchell, Richard P. *The Society of the Muslim Brothers*. London: Oxford University Press, 1969, p. 20.

طرأ على المجتمع المصري نتيجة الغزو الثقافي الغربي الذي وصفه البنا بالعنيف المسلح المجهز بكل الأسلحة الفتاكة من المال والجاه والمظهر والمتعة والقوة ووسائل الدعاية*[23]. فخلال تلك المرحلة كان التيار العلماني قد تحول من مجرد أفكار ومبادئ ينادي بها أشخاص مبهورون بقيم الحضارة الغربية إلى تيار جارف له من أسباب القوة والسيادة ما جعله يهيمن على الصفوة الحاكمة ويسيطر على النظام الاجتماعي والسياسي.

ويبدو أن الشيخ البنا قد أدرك خطورة هذا التحول، فأشار إلى ذلك بقوله: (من الحق أن نعترف بأن موجة جارفة وتياراً شديداً دفاقاً قد طغى على العقول والأفكار في غفلة من الزمن وفي غرور من أمم الإسلام وانغماس منهم في الترف والنعيم، فقامت مبادئ ودعوات، وظهرت نظم وفلسفات وتأسست حضارات ومدنيات، ونافست هذه كلها فكرة الإسلام في نفوس أبنائها وغزت أممه في عقر دارها... بل احتلت قلوبهم وعقولهم ومشاعرهم... ونشأ في كل الأمم الإسلامية جيل مخضرم إلى غير الإسلام أقرب، تصدر في تصرف أمورها واحتل مكان الزعامة الفكرية والروحية والسياسية والتنفيذية فيها)[24].

وقد أثر هذا الفهم العميق لحقيقة السيطرة والنفوذ العلماني سياسياً واجتماعياً في تشكيل فكر حسن البنّا ومنهجه، حيث أصبح التمسك بأدبيات التيار الإصلاحي العقلي القائم على الجهد الفكري المحض، غير فعّال في تلك المرحلة، مما دعاه إلى الجمع بين الفكر والحركة معاً. ولذلك ترجم أفكاره إلى رؤية عملية من خلال تأسيسه لحركة الإخوان المسلمين التي شكل صعودها دليلاً على فشل التوسع الأوروبي الإمبريالي والفكري في القضاء على

(*) يقول ريتشارد ميتشل: (تزامن وصول البنا إلى القاهرة مع فترة الغليان الفكري والسياسي التي ميزت العشرينيات، وباستعراضه للمواقف بعيني ريفي متدين.. استطاع البنا أن يميز المشكلات الأكثر خطورة من وجهة نظره...).

(23) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص58.

(24) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، "الإخوان المسلمون تحت راية القرآن"، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1992م، ص189.

الأصـولية* التي ظهـرت في صيغة جديدة، أو كما يقول جون أوبرت John Obert: "أصبحت دعوة المنظمات القديمة ذات تأثير محدود، في حين خلقت الأصولية الجديدة جمعيات شعبية قامت على التقيد الكامل بالقرآن والسنة، وكانت أشهرها "الإخوان المسلمين" التي تأسست على مثالية أصولية نمت بدافع تحدي التحديث العلماني الذي واجه القيم الإسلامية"[25].

ومن هنا يمكن القول إن التصدي للتيار العلماني والغزو الثقافي الغربي شكل واحداً من المرتكزات المحورية في تفكير الشيخ حسن البنّا، وأصبح المفهوم الرئيسي والمحوري في كتاباته هو مفهوم "النهضة" باعتبارها وسيلة الإحياء الإسلامي، ومن ثم تضمنت دعوته ضرورة تغيير الأوضاع القائمة التي لا تتفق مع النهضة وتمثل خروجاً عليها في كثير من جوانبها السياسية والاجتماعية والحضارية[26]. وانطلاقاً من تلك الرؤية جعل البنا أعظم آماله العامة أن يكون مرشداً معلماً ومصلحاً[27]. وسرعان ما تحولت تلك الآمال إلى عمل فكري وتنظيمي من خلال تأسيس حركة «الإخوان المسلمين» التي قادها وصاغ أيديولوجيتها وحده خلال عقدين كاملين (1928-1948). وبهذا تشكلت رؤيته الخاصة للعمل الإسلامي الناجح على أساس اعتقاده بأن الأمر يتطلب عملاً من نوع آخر، أقوى من الكتابة والخطابة وإثارة المشاعر[28]. ولذلك نمت حركة الإخوان المسلمين كحركة إحيائية إسلامية فاعلة تسعى إلى تحقيق التغيير الاجتماعي الشامل.

(*) هناك تحفظ على استخدام مصطلح "الأصولية" الذى شاع بين الباحثين الغربيين، ونقله عنهم بعض المفكرين العرب، ويفضل استخدام مصطلح " السلفية " لوصف الحركات الدينية الحديثة في العالم الإسلامي.

(25) Voll, John Obert. *Islam: Continuity and Change in the Modern World*, 1982, p. 174.

(26) غانم، إبراهيم البيومي: (الفكر السياسي للإمام حسن البنّا "دراسة للتفاعل بين الفكر والحركة في الواقع السياسي المصري")، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 1990م، ص245.

(27) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص65.

(28) رزق. **الدولة والسياسة في فكر حسن البنّا**، مرجع سابق، ص23.

ويذهب آلان تيلور أن البيئة المصرية كانت المكان الأكثر منطقية لنشأة مثل هذه الحركة، حيث كان الاحتلال البريطاني معبراً عن العناصر الأساسية للمواجهة الشديدة بين الإمبريالية الغربية والإسلام لدى عديد من المسلمين، إذ شكلت مصر أكبر الدول الإسلامية المتحدثة بالعربية، بالإضافة لوجود أكبر جامعة إسلامية (الأزهر) تضم طلاباً من مختلف البلدان الإسلامية بها، وهذا الوضع الخاص جعل هذا البلد انعكاساً كونياً لأكثر الأشياء المهمة التي تحدث في العالم الإسلامي، واعتبر تيلور أن هذه الأسباب عجلت بصعود الحركة الإسلامية أو الأصولية الجديدة، كما يطلق عليها، ورأى أن من بين الأسباب التي ساعدت على هذا الصعود، سيطرة القيادة القومية العلمانية على الكفاح الوطني من أجل الاستقلال، حيث كان المحتوى الإسلامي في الأحزاب السياسية نادراً بل تأثرت معظمها بالنماذج القومية الغربية[29].

واتفق ريتشارد ميتشل -إلى حد كبير- مع ما ذهب إليه تيلور إذ فسر ظهور الإخوان المسلمين بأنّه رد فعل للأزمة الاجتماعية والسياسية التي واجهت الأمة إثر التطورات الحديثة وما صاحب ذلك من تمزق الأمة في حياتها المحلية والشخصية بين النموذج الغربي والنموذج الإسلامي خلال فترة العشرينيات في مصر[30]. إلا أن ميتشل قد وصف الحركة بأنّها استجابة مرضية تعاني من الخوف من كل غريب أو أجنبي ومن العلمنة والتغريب والتحديث[31]. وقد اعتمدت بعض الدراسات الحديثة على تلك الرؤية في تفسير ظاهرة تنامي الحركات الإسلامية وعلى رأسها حركة الإخوان المسلمين، فذهب هارولد باركلي إلى أن الضغط الاجتماعي في مصر خلال القرن العشرين مزق جذور عريقة وقديمة وراسخة، وعرض التراث للمناقشة، مما خلف حالة من اللا معيارية Anomie، واللا هدف Aimlessness، وفقدان

(29) Taylor, Alan R. *The Islamic Question in Middle East Politics*. 1988.

(30) Mitchell, Richard P. *The Society of the Muslim Brothers*. 1969, pp. 21-24.

(31) Ibid., p. 331.

الهوية، وكان هذا محرضاً رئيسياً على ظهور منظمات سياسية مسلمة محافظة من أهمها الإخوان المسلمين[32].

أما عبد العظيم رمضان فقد ادعى أن الحركة نشأت رد فعل لوهم أو تصور أن الانفتاح على الحضارة الغربية هو موجة من الإلحاد والإباحية تستنفر لمقاومتها كل جهود المعسكر الإسلامي، وهو ما يختلف -في رأيه- عن حركة "العروة الوثقى" التي نشأت رد فعل لخطر حقيقي تمثل في الغزو الاستعماري الأوروبي للعالم الإسلامي، كما نبعت من حاجة أساسية للمجتمع تتصل بتحرره الوطني وتحرره العقائدي من البدع وتحرره الفكري من الجمود والتأخر[33]. وفي مواجهة تلك الرؤية ظهر موقف آخر يستند إلى الواقع التاريخي، باعتبار أن حركة الإخوان المسلمين نشأت في ظروف الاحتلال البريطاني لمصر، وقامت بمواجهة الخطر نفسه الذي نشأت من أجله حركة "العروة الوثقى"، بل أن الظروف السياسية والاجتماعية التي أحاطت بنشأة الإخوان جعلت قضية التحرر العقائدي والفكري أكثر إلحاحاً، إذ هيمنت النخبة العلمانية في تلك الفترة على الحركة الفكرية والاجتماعية والسياسية مما شكل خطراً حقيقياً على المنظومة الثقافية الإسلامية، وربما يتضح هذا المعنى فيما ذكره "محمد عمارة" من أن العلمانية على النقيض من فلسفة الشريعة الإسلامية ومقاصدها، وأن الاستعمار الأوروبي الحديث للعالم الإسلامي لم يقف عند مقاصد احتلال الأرض، وإنما جعل من احتلال العقل السبيل لتأييد وتأبيد الاحتلال ونهب الثروات، ولذلك كان الإسلام عدوها الأول، لأنها قد رأت فيه الطاقة المحركة للأمة نحو التحرر الوطني والتمايز الثقافي والحضاري[34].

---

(32) Barclay, Harold B. "Egypt: Struggling with Secularization," in Caldarala, Carlo. *Religions and Societies: Asia and the Middle East*. Berlin: Mouton Publishers, 1982, p. 138.

(33) رمضان، عبد العظيم. **تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة 1927- 1947**، بيروت، الوطن العربي، 1973م، ص297.

(34) عمارة، محمد. **الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية**، القاهرة: دار الشروق، ط1، 2003م، ص7-8.

وبناء على ما تقدم، يمكن القول إن السياق الاجتماعي والفكري الذي ظهر فيه الشيخ حسن البنّا ساعد على تكوين حركة الإخوان المسلمين كحركة جماهيرية إحيائية تتميز بروح إصلاحية، وتلتزم بعقيدة ثورية، وتتبنى مشروعاً نهضوياً لتغيير البناء الاجتماعي يعتمد على العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه.

ثانياً: فكر حركة الإخوان المسلمين ونظرتها إلى المجتمع

كانت حركة الإخوان المسلمين في سنواتها المبكرة إحدى الجماعات القليلة التي دافعت عن التحول الاجتماعي الفعال والإصلاحات الاجتماعية-الاقتصادية الكبيرة[35]. فقد أراد البنا لحركة الإخوان المسلمين أن تكون إسلامية إيجابية فاعلة، محركة للأمة، معبرة عن الإسلام كل الإسلام، وكان هذا المعنى واضحاً في عقل البنا منذ قام بتأسيس دعوته[36]. وبذلك صاغ حسن البنّا رؤيته التي شكلت فكر حركة الإخوان المسلمين، مستعيناً بمصادر مختلفة، فاتخذ من القرآن الكريم والسنة النبوية إطاراً مرجعياً أساسياً في تأصيله النظري لهذا الفكر، إلا أنه اجتهد في حدود معطيات الواقع، واستفاد أيضاً من دروس وجهود حركات الإصلاح التي سبقته[37]. لكن القرآن الكريم كان المصدر الأساسي لفكر حسن البنّا، إذ رأى أن القرآن (كتاب هداية وإرشاد وتوجيه اجتماعي إلى أمهات المناهج الاجتماعية، التي إذا سلكها الناس سعدوا في دنياهم وفازوا في آخرتهم)[38]. ولهذا اعتبر القرآن الكريم مقياساً يحدد غاية الدعوة ومقاصدها وأساليبها ووسائلها[39]. كما كانت

---

(35) Voll, John Obert. *Islam: Continuity and Change in the Modern World*, 1982, p.176.

(36) القرضاوي، يوسف. **الإخوان المسلمون: 70 عاماً في الدعوة**، مرجع سابق، ص 27.

(37) غانم. (الفكر السياسي للإمام حسن البنّا...)، مرجع سابق، ص248.

(38) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، جمع وتحقيق عصام تليمة، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2002م، ص104.

(39) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام الشهيد**، "إلى أي شيء ندعو الناس"، مرجع سابق، ص33.

المفاهيم التي استخدمها في رسائله وكتاباته مستمدة مباشرة من القرآن الكريم.

بالإضافة إلى ذلك تأثر البنا بأفكار الرواد الأوائل للنهضة الإسلامية الحديثة. ولذلك رأى "إسحاق الحسيني" أن حركة الإخوان المسلمين ظاهرة لها أصولها في التاريخ الإسلامي، فهي تشبه إلى حد كبير الحركة الوهابية والحركة السنوسية[40]. وقد اهتم بعض الباحثين بتوضيح أوجه الشبه بين فكر البنا ودعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب[41]. في حين حاول ريتشارد ميتشل إبراز العناصر المختلفة التي ميزت حركة الإخوان التي أسسها البنا عن الحركة الوهابية. ولكنه رأى أن أهداف الإخوان قد انسجمت بشكل عام مع أهداف الحركات الإصلاحية السابقة[42]. ومن جانب آخر، اتفقت معظم الآراء حول تأثر فكر حسن البنّا بدعوة السيد "رشيد رضا"، حيث نشأ البنا في أحضان مدرسة المنار، لذا اعتبره بعضهم الوريث الروحي لرشيد رضا*، ورأوا أن حركة الإخوان المسلمين تمثل تطوراً للسلفية وتجديداً للنزعة المحافظة في الإصلاح الإسلامي[43]. لذلك رأت "كريمان المغربي" أن حسن البنّا أضاف أفكاراً ومواقف أملتها ظروف العصر الذي عاشه وطبيعة الحركة التي قادها،

---

(40) ابن علي، حسين بن محسن. **الطريق إلى جماعة المسلمين**، المنصورة، الوفاء للطباعة والنشر، 1990م، ص 338.

(41) خلف الله، أحمد ربيع عبد الحميد: (الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين)، رسالة ماجستير، (منشورة)، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1984م، ص79.

(42) Mitchell, Richard P. *The Society of the Muslim Brothers*. 1969, p. 321.

(*) يعتقد "عبد العظيم رمضان أن" أفكار الأخوان المسلمين تكاد تكون منسوخة من مدرسة المنار، وكذلك انتهى "رفعت السعيد" إلى أن الإخوان المسلمين أشد سلفية من رشيد رضا.

لمزيد من التفاصيل:

- رمضان، عبد العظيم. **تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة 1927-1947**، بيروت: الوطن العربي، 1973م، ص297.
- السعيد، رفعت. **التأسلم السياسي وروافده (الإخوان المسلمين)**، القاهرة: كتاب الأهالي، 2002م، ص45.

(43) Heper, Metin and Raphael Israeli. *Islam and Politics in the Modern Middle East*. London: Croom Helm, 1984, p. 13.

مما جعله ينزل بها من مجال الفكر البحت إلى ميدان العمل التنظيمي[44].

وبالرغم من الآراء السابقة يمكن القول إن اتفاق البنا مع بعض الدعوات الإصلاحية السابقة في كثير من القضايا والأفكار، لا ينفي كونه مجدداً يمتلك رؤية متميزة. ومن الملاحظ أن رؤيته حول التغير الاجتماعي تأثرت إلى حد كبير بأفكار الإمام "محمد عبده"، وهو الأمر الذي أغفله كثير من الذين قاموا بالتأصيل لفكر البنا، بل هناك من أنكر أية صلة بين فكر البنا وفكر الإمام محمد عبده، باعتباره ينتمي إلى تيار يبتعد عما نادت به مدرسة "محمد عبده" من ضرورة الاجتهاد والتوفيق مع القيم الغربية*[45] وخلافاً لهذا الرأي، يمكن الاستدلال بكثير من كتابات البنا وأفكاره التي تؤكد تأثره بأفكار الإمام محمد عبده، فقد كان حسن البنّا يبدي إعجابه الشديد بآراء محمد عبده، ويصفه بلقب "حكيم الإسلام الأستاذ الإمام"[46]. ويبدو تأثر البنا بآراء الإمام محمد عبده واضحاً في تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم، حيث كان يميل إلى ترجيح أقواله على غيرها من اجتهادات المفسرين الآخرين[47]. أضف إلى ذلك اقتباسه كثيراً من آراء محمد عبده حول التغيير والإصلاح والتطور الاجتماعي[48]. ومما لاشك فيه أن حركة الإخوان المسلمين قد تأثرت كثيراً بفكر التيار الإصلاحي العقلي، وبالرغم من ذلك شكلت تياراً جديداً متميزاً

---

(44) المغربي، كاريمان. **الإخوان المسلمون من حسن البنا إلى سيد قطب**، القاهرة: ك المغربي، 1977م، ص19.

(*) قسمت "هالة مصطفى" اتجاهات التفكير السياسي الديني إلى ثلاث اتجاهات: الأول أسمته الاتجاه التقليدي (الأزهر)، والثاني أطلقت عليه اتجاه المدرسة الإصلاحية التحديثية التي رفع لواءها تلامذة محمد عبده -حسب قولها- وهي المدرسة التي وضعت الأسس لعلمنة المجتمع الإسلامي، والثالث هو اتجاه مدرسة المنار الذى وصفته بالاتجاه الإصلاحي المحافظ، ورأت أنه ابتعد عما نادت به مدرسة محمد عبده من ضرورة الاجتهاد والتوفيق مع القيم الغربية.

(45) راجع: مصطفى، هالة. **الإسلام السياسي في مصر**، مرجع سابق، ص88-89.

(46) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص339.

(47) المرجع السابق، ص 137، 142، 362، 402.

(48) حول تشابه رؤية البنا مع رؤية الإمام محمد عبده حول قضية التطور، يمكن مراجعة المرجع السابق، ص196-197.

في خصائصه ومنهجه إلى حد كبير. وفي هذا السياق رأى ريشارد ميتشل أن الإخوان المسلمين أدركوا بوضوح موقعهم على خط الحركات الإصلاحية الحديثة، وقدموا صورة مفيدة للمصلحين السابقين، كما طرحوا تصوراً دقيقاً تماماً لدورهم في التطورات الحديثة في المجتمع، وعلى ذلك انتهى إلى أن حركة الإخوان مثلت الامتداد العملي للحركات السابقة[49].

وعلى ذلك قدم ميتشل حركة الإخوان المسلمين حلقة في سلسلة الحركات الإصلاحية، إلا أنه لم ينكر تميزها بطابع خاص يختلف عن التيارات الإسلامية السابقة، وهى الفكرة التي طالما أكدها الإخوان أنفسهم[50]. كما شدد عليها البنا منذ البدايات الأولى لنشأة الجماعة، ولذلك كان البنا يكرر دائماً أنه لا يريد أن تكون دعوة الإخوان المسلمين محصورة في نفر من المسلمين، ولا ناحية من نواحي الإصلاح الإسلامي، ولكنه حاول جاهداً أن تكون دعوة عامة قوامها العلم والتربية والجهاد، وهى أركان الدعوة الإسلامية الحديثة، ولذلك كان يؤكد أن الإخوان المسلمين ليسوا حزباً سياسياً ولا جمعية خيرية إصلاحية وليسوا فرقة رياضية، ولكنهم فكرة وعقيدة، ونظام ومنهاج، لا يحدده موضع ولا يقيده جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافي[51]. كما حدد غاية الإخوان الأساسية وهدفها الأسمى في الإصلاح الشامل الكامل الذي تتعاون عليه قوى الأمة جميعاً وتتجه نحوه الأمة جميعاً ويتناول كل الأوضاع القائمة بالتغير والتبديل[52].

وربما لهذا الموقف الذي أعلنه البنا في مناسبات عديدة، استنتج "ميتشل" أن الإخوان رغم اعتقادهم في عظمة رجال الإصلاح السابقين، إلا أنهم رأوا

---

(49) Mitchell, Richard P. *The Society of the Muslim Brothers*. 1969, p. 321.

(50) انظر: حول هذه الفكرة: «الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين»، رسالة ماجستير، (منشورة)، القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1984م، ص80؛ القرضاوي، يوسف. **الإخوان المسلمون: 70 عاماً في الدعوة والتربية والجهاد**، مرجع سابق، ص 24.

(51) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام الشهيد**، رسالة " تحت راية القرآن "، مرجع سابق، ص197.

(52) المرجع السابق، "رسالة المؤتمر السادس"، ص 205.

أن إصلاحاتهم لم تكن ملائمة، بسبب فشلهم في الوصول إلى رؤية كلية للإسلام. ثم يعلق ميتشل: (كان الأفغاني يشاهد المشاكل ويحذر منها، وكان محمد عبده يعلم ويفكر.. ورشيد رضا يكتب ويسجل. وحسبما يضعهم البنا، فقد كانوا جميعاً مصلحين دينيين وأخلاقيين فحسب)[53]. وعلى ذلك انتهى ميتشل* إلى أنهم (كانوا يفتقدون الرؤية الإسلامية التي ميزت الإخوان)[54]. ولكن يبدو أن تقدير ميتشل لهؤلاء الرواد لم يكن يتفق كلياً مع وجهة نظر حسن البنّا حولهم، إذ انتقد البنا حركة النهضة الحديثة في عصره لافتقادها الغايات والمناهج والزعامة والبرامج، وهى القواعد التي اعتبرها أساساً لأي نهضة سليمة، وفي الوقت نفسه أشاد بالدور الذي قدمه رواد النهضة الإسلامية حيث يقول: (على هذه القواعد بنى مصطفى كامل وجمال الدين والشيخ محمد عبده نهضة مصر، ولو سارت في طريقها هذا ولم تنحرف عنه لوصلت إلى بغيتها أو على الأقل لتقدمت ولم تتقهقر...)[55]. كما يقول: (يظهر أن النهضة في فجرها كانت خيراً وأقوم سبيلاً... كان جمال الدين ومحمد عبده والكواكبي يسيرون بالناس دينياً وخلقياً إلى ناحية مثمرة هي تصحيح العقائد وتقويم الأفكار في ناحية جمعياتنا الإسلامية...)[56].

يكشف ذلك عن إعجاب البنا بفكر رواد النهضة، كما يكشف عن تأثره بالمنهج الذي اتبعوه في سبيل النهضة، وإن تمايز عنهم في بعض الجوانب

---

(53) Mitchell, Richard P. *The Society of the Muslim Brothers*. 1969, p. 321.

(*) استنتج "ميتشل" أن البنا كان ينظر إلى الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا بوصفهم مجرد مصلحين دينيين وأخلاقيين، وهولم ينسب ذلك القول إلى البنا مباشرة، إلا أن "رفعت السعيد" أورد هذا النص في مؤلفه "التأسلم السياسي وروافده" كما جاء في كتاب ميتشل بما فيه تعليق ميتشل الأخير، ووضعه بين قوسين، ونسبه إلى حسن البنّا، ووثق النص نسبة إلى كتاب البنا (مذكرات الدعوة والداعية) ليدلل بذلك على ما اعتبره استعلاءً من البنا على الجميع. انظر: السعيد، رفعت. **التأسلم السياسي وروافده**، مرجع سابق، ص47.

(54) Mitchell, Richard P. *The Society of the Muslim Brothers*. 1969, p. 321.

(55) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص158.

(56) المرجع السابق، ص159.

الفكرية والمنهجية، مما يدخل في نطاق التجديد الذي استلزمه تغير الظروف واختلاف الأوضاع بمقتضى التباين التاريخي والمرحلي. وبهذا يتفق البنا مع تيار العروة الوثقى ومدرسة المنار في أسس التجديد، حيث تبين التزامه بمنهج الإصلاح الديني. وبذلك أفاد من تجارب رواد النهضة الإسلامية الحديثة، وأخذ خير ما عندهم وأمكنه أن يتفادى ما وقعوا فيه من أخطاء، ولذا استطاع أن يدمج بين وسيلتين جرى على إحداهما الأفغاني وارتضى الأخرى محمد عبده، وهما الإصلاح عن طريق الحكم، والإصلاح عن طريق التربية[57].

وقد كان "التجديد" عند الشيخ حسن البنّا يمثل أحد المحاور المهمة التي قامت عليها العقيدة الفكرية للإخوان المسلمين. إذ نظر البنا إلى التجديد برؤية واسعة تضم الجوانب الفكرية والعملية معاً، وكان يهدف إلى تجديد الأمة الإسلامية وإحيائها في شتى المجالات، ويشير "آلان تايلور Taylor" إلى أن اهتمام البنا المركزي تحدد في تحليل أسباب انحدار الإسلام في مصر وغيرها من البلدان، وسعى للوصول إلى علاج فعلي شامل بهدف إلى استبدال الدولة المضطربة القائمة بنظام إسلامي تجديدي، حيث اعتقد كغيره من المفكرين السلفيين أن الخطوة الحيوية في هذا الأمر أن يحلل مجمل القضايا المتعلقة بكيفية التعامل مع تحديات العالم المعاصر، في إطار شمولية الإسلام. ومن هنا أشار إلى ضرورة استئناف فتح باب الاجتهاد[58].

وعلى ذلك شكلت جهوده في مجال الإحياء الديني والإصلاح الاجتماعي منهجاً جديداً للحركة الإسلامية في مجال التجديد، فإذا كانت الحركة السلفية لم تتجاوز مبدأ التجديد نظرياً فإن حسن البنّا نشط فعلياً ليؤكد فكرة التجديد[59]. وبالرغم من ذلك وجهت انتقادات لفكر البنا بأنه رجعي (متمسك

---

(57) جاكسون، روبير. **حسن البنّا الرجل القرآني**، ترجمة أنور الجندي، القاهرة: دار العالم العربي، 1999م، ص8-9.

(58) Taylor, Alan R. *The Islamic Question in Middle East Politics*. 1988, p. 55.

(59) Ibid., p. 55.

بالدعوة إلى العودة إلى عصر الخلفاء الراشدين والالتزام بحرفية هذه الدعوة... وأنه أراد أن يخلف وراء ظهره ثلاثة عشر قرناً من التفسيرات والممارسات الدينية حتى نعود إلى الأصول)[60]. واتفق "دكمجيان" مع الرأي السابق فوصف حركة الإخوان المسلمين بالأصولية الراديكالية، مشيراً إلى أنها تصدت لمنهج السلفية المعتدلة في الأخذ من الغرب ودعت إلى أصولية جذرية ضيقة لتكون أساساً لنظام إسلامي جديد[61]. وعلى هذا النحو تم وصف فكر البنا بالأصولية*، بمعني رفضه لأي اجتهاد في الفكر أو تطوير أو تجديد. وهذا في الواقع يناقض فكر البنا الداعي إلى التجديد والذي يتضح من قوله إن: (أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم ... ويجب أن نستقي النظم الإسلامية من هذا المعين الصافي... وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح... وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا الله به، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه)[62]. وبهذا يتفق البنا مع الشيخ محمد عبده في أسس التجديد، حيث تبين التزامه بمنهج السلف الاجتهادي، دون التقيد بالنصوص التي تخالف روح العصر.

وقد كشف "ولفريد كانتول سميث Wilfred Smith" عدم صحة الحكم على الإخوان المسلمين بإنهم حركة رجعية، ورأى أن هذه الحركة قامت بعمل

---

(60) مصطفى، هالة. **الإسلام السياسي في مصر**، مرجع سابق، ص88.

(61) دكمجيان. **الأصولية في العالم العربي**، مرجع سابق، ص41.

(*) أوضح عمارة أن ما يسميه الفكر الغربي (الأصولية) يعبر عن السلفية الأرثوذكسية وتعني الوقوف عند الأصول على النحو الرافض لأي اجتهاد في الفكر أو تطوير له أو تجديد، كما كان التجديد والاجتهاد ثورة تأتي على هذه الأصولية من القواعد والأسس ولكن منهج الإسلام لم يعرف التقابل والتضاد بين اكتمال الدين والسلفية وبين الاجتهاد فيه والتجديد له، حيث أن مجال التجديد هو الفروع وفقاً لمقتضيات الزمان والمكان، على أن تكون متسقة مع مقاصد الأصول التي اكتملت بتمام نزول الوحي.
راجع: عمارة، محمد. **معالم المنهج الإسلامي**، القاهرة: دار الشروق، ط1، 1991م، ص93-94.

(62) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة" المؤتمر الخامس"، مرجع سابق، ص120.

يستحق الثناء والتقدير حيث سعت إلى إنشاء مجتمع حديث على أساس العدالة الإنسانية المستمدة من أفضل القيم المحفوظة في التراث[63]. وكذلك انتقد "برينجان ليا Brynjan Lia" النظرة الشائعة التي قدمها "ريتشارد ميتشل" حول الإخوان، وهي النظرة التي صورتها جماعة دينية تقليدية محافظة تقاوم التغير. ورأى أن الإخوان كانوا يحرصون على إبعاد أنفسهم من صورة الرجعية الدينية. كما وصف تنظيم الجماعة بأنه تنظيم عصري، أما أسلوب البنا في تربية الكوادر فاعتبره أكثر منهجية[64]. ويمكن عرض أهم ملامح التجديد عند حسن البنّا فيما يلي:

1 - تجديد لغة الخطاب الديني

رفض البنا لغة الخطاب الديني التقليدية التي لا تخدم أهداف الدعوة موضحاً (أن لكل عصر طريقة في الكتابة تتناسب مع أسلوب أهله في الفهم وطرقهم في الدراسة. ولابد من هذا التجدد تبعاً لتجدد عقول الناس وتغير طرق البحث والتفكير والاستنباط...)[65]. وقد كان أسلوب حسن البنّا في كتاباته ورسائله تطبيقاً عملياً لتجديد لغة الخطاب*. فلم يكن يعتمد على أسلوب الخطابة التقليدي المثير للمشاعر والعواطف، بل رأى أن يكون أسلوبه متفقاً مع ملامح العصر الذي يعيشه، معتمداً على التصوير المنطقي والأسلوب العلمي، بالإضافة إلى رسم الطرق العملية المنتجة أمام الناس لتحقيق ما يريدون ولتذليل العقبات التي تواجههم في الطرق[66]. لذلك كان البنا يوصي

---

(63) Smith, Wilfred Cantwell. *Islam in Modern History*. 1957, p. 156.

(64) Lia, Brynjan. "The Society of the Muslim Brothers," in *Egypt: the Rise of an Islamic Mass Movement 1928-1942*. UK: Garnet Publishing, Ltd., 1998, pp. 279 - 280.

(65) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص63.

(*) يصف "عمر التلمساني" لغة الخطاب عند البنا قائلاً: (لم تكن كتاباته ولا خطبه محلاة بالقناعة اللفظية أو البلاغية من استعارة وكناية وتشبيه وما إلى هذه المحسنات البلاغية. ينطلق كالسهم فيصل إلى غايته، صادق القول، واضح الحجة قوي البرهان). انظر: التلمساني، عمر. **الملهم الموهوب أستاذ الجيل**، مرجع سابق، ص24.

(66) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة" دعوتنا في طور جديد"، مرجع سابق، ص225.

أتباعه بقوله: (كونوا عمليين لا جدليين، فإذا هدى الله قوماً ألهمهم العمل، وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)[67]. وعلى هذا استخدم البنا لغة الإحصاء لتأكيد أهداف الحركة وأولوياتها التي حددها في إصلاح التعليم ومحاربة الفقر والجهل والمرض والجريمة وتكوين مجتمع نموذجي يستحق أن ينتسب إلى شريعة الإسلام[68].

2 - تجديد الفقه والتفسير

أدرك الشيخ حسن البنّا أن العصر الحديث قد وجدت فيه معاملات حديثة لا نجد لها أحكاماً في أمهات كتب الفقه مثل حكم أعمال البنوك والمصارف وبيع الكمبيالات وما إلى ذلك مما لم يكن عند المتقدمين، ورأى أن ذلك يستدعي أن تتم معالجة مثل هذه المسائل على ضوء القواعد الكلية التي وصفها الأئمة[69]. وعلى جانب آخر عاب البنا على بعض المحدثين الإفاضة في أحكام لا وجود لها الآن كالتمثيل بمسائل الرق والتمثيل بوزن الدراهم وما إلى ذلك. ومن هنا نادى بضرورة فتح باب الاجتهاد، وحدد قواعد هذا الاجتهاد بالاعتماد على جهود السلف مع تأكيده على استخدام طريقة جديدة في الاجتهاد يصفها بأنها غير مألوفة في الكتب الدينية، فهي مبتكرة في أوضاعها ونظمها، إلا أنها ليست جديدة في أصول الأحكام وقواعدها لأنها ثابتة لا تتغير ولا تتبدل[70]. وعلى ذلك لم يهمل البنا التراث الفقهي كلياً، بل استعان به واستفاد منه، وانطلاقاً من هذه القواعد كان منهجه في تفسير القرآن الكريم امتداداً للمنهج الذي اتبعه الإمام محمد عبده وتلاميذه، حيث وصف المنهج الذي اتبعه في التفسير بأنه مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي، وبذلك يتفق مع منهج الإمام في تفسير المنار، إلا أنه زاد عليه أنه "سلفي أثري"[71]، أي يستعين

(67) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "بين الأمس واليوم"، ص111.
(68) المرجع السابق، ص 107-108.
(69) البنّا، حسن، **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص 65.
(70) المرجع السابق، ص 65.
(71) المرجع السابق، ص239.

ببعض كتب التفسير القديمة للوقوف على معاني الألفاظ والاستهداء ببعض التفسيرات، وهذا لا ينفي أنه في مواضع كثيرة كان ينتهي إلى تأويل جديد يناسب العصر الحديث*[72].

ومن أبرز عناصر التجديد في التفسير عند البنا، أنه حرص أن يكون التفسير موضوعياً وواقعياً، حيث يختار من الآيات موضوعات يحتاج إليها المجتمع وتفرض نفسها على عقول الناس، ثم يقوم بإسقاط كل النماذج التي تناولها على الواقع المعيش، وعلاوة على ذلك، كان يستخرج الأحكام الفقهية الموجودة بالآية، ثم يستخرج منها الدروس والعبر[73]. ومن بين مظاهر التجديد التي ظهرت في تفسيره أيضاً، استعانته بالعلوم العصرية، حيث اطلع على كتابات وأفكار بعض الغربيين ووظفها في خدمة الفكرة الإسلامية[74].

3 - تجديد المفاهيم الإسلامية

تمثلت أبرز جهود حسن البنّا التجديدية في تجديد "المفاهيم الإسلامية"، وفي هذا الإطار أكد البنا على الجوانب الاجتماعية والسياسية للإسلام. بالإضافة إلى تأكيده على الأبعاد العملية للمفاهيم الإسلامية. فقد رأى البنا أن المهمة التي ألقاها الله على عاتق المسلمين ذات شقين، فردي واجتماعي، أما الشق الفردي فيشمل إقامة العبادات وأن يفعلوا الخير ما استطاعوا، وأما الشق الاجتماعي فهو حق الإنسانية، بأن فرض على المسلمين الجهاد بنشر الدعوة وتعميمها بين الناس بالحجة والبرهان، مما يستوجب أن يكون

(*) رأى دكمجيان أن الأصوليين وجدوا أنه من الضروري كي يمكن بعث الروح الإسلامية من جديد أن يعملوا بجد للوصول إلى تفسير جديد للاجتهاد الإسلامي دون ما استهداء بالآراء الفقهية في نطاق الفكر الأصولي. ولم يوضح دكمجيان إلى ما استند إليه للوصول إلى هذا الاستنتاج، ويبدو تناقض دكمجيان في كونه صنف الإخوان ضمن الأصوليين، على الرغم من عدم إنكار حسن البنّا للآراء الفقهية، واستهدائه بها أحياناً. راجع: دكمجيان. **الأصولية في العالم العربي**، مرجع سابق، ص46.

(72) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص340.

(73) المرجع السابق، ص52-57.

(74) المرجع السابق، ص58 -59.

المسلمون صفاً واحداً، وأن يكونوا هم جيش الخلاص الذي ينقذ الإنسانية[75].

وفي إطار ذلك أكد البنا أن الإسلام دين ودولة، ونظام مجتمع ومنهج حياة. وبذلك جدد النظرة الشمولية للإسلام في زمن برز فيه مفهوم الإسلام مجرداً من جانبه السياسي والاجتماعي، حيث حاول العلمانيون أن يفرضوا مفهوماً جزئياً للإسلام يقوم على العبادات والمظاهر الدينة المختلفة فحسب[76]. ومن هنا جاء اهتمام حسن البنّا بإحياء مفهوم "شمولية الإسلام" على وجه الخصوص[77]. ليواجه به النظرة الجزئية التي حاول بعضهم فرضها على المجتمع المسلم. ولئن كان السيد رشيد رضا قد سبق إلى إحياء هذا المفهوم نظرياً، فإن حسن البنّا جدده عملياً*. ومن هنا وصف دعوة الإخوان

---

(75) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة" إلى أي شيء ندعو الناس"، مرجع سابق، ص42.

(76) أمين، جمعة. **منهج الإمام البنا: الثوابت والمتغيرات**، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 2000م، ص31-33.

(77) انظر: الواعي، توفيق يوسف. **الفكر السياسي المعاصر عند الإخوان المسلمين**، القاهرة: مكتبة المنار الإسلامية، ط1، 2001م، ص20-21.

(*) يذهب "عبد العظيم رمضان" أن مفهوم شمولية الإسلام أحد الأسس الأيديولوجية التي نقلها البنا عن مدرسة المنار، حيث دافع رشيد رضا عن هذا المعنى، وأخذ يقيم الحجة على أن الإسلام نظاماً دينياً لا يتنافر مع الظروف القائمة، وأن الشريعة أداة عملية صالحة للحكم. وربما يوحي قوله بإن رشيد رضا ابتدع فكرة شمولية الإسلام. والحقيقة أن هذا المفهوم يشكل منهجاً إسلامياً أصيلاً مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد أشار إليه "ضياء الدين الريس" في كتابه النظريات السياسية الإسلامية، كما أشار إليه "محمد عمارة موضحاً أن (. . . الشريعة الإسلامية هي المنهاج الإلهي لرعاية وتدبير الاجتماع الإنسانى في مختلف دوائر هذا الاجتماع: الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقيمية. . .).

لمزيد من التفاصيل: رمضان، عبد العظيم. **تطور الحركة الوطنية**، مرجع سابق، ص287

- قميحة، جابر. **الإمام الشهيد حسن البنّا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل**، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1988م، ص54-56.

- عمارة، محمد. **الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية**، القاهرة: دار الشروق، ط1، 2003م، ص7.

المسلمين بأنها "إسلامية" مشدداً على المعنى الشامل للإسلام (ديناً قيماً فيه النظام الشامل والقانون المحكم والدستور الكامل لسعادة الأمم ورفاهيتها وصلاحها في الحياة وبعد الحياة)[78].

بيَّن البنّا أن مفهوم شمولية الإسلام من أهم ثوابت الدعوة، وحرص في كل خطبه ورسائله على تأكيد هذا المعنى[79]. حيث يقول: (فهم بعض الناس خطأ أن الإسلام مقصور على ضروب من العبادات أو أوضاع من الروحانية... ولكنا نفهم الإسلام على غير هذا الوجه فهماً فسيحاً واسعاً ينتظم شؤون الدنيا والآخرة)[80]. وبذلك كان لهذا المفهوم أهمية خاصة في رؤيته، حيث أسس عليه قواعد النهضة وشروطها، ومنهج التغيير الاجتماعي الشامل الذي يبدأ من الفرد، ثم المجتمع، فالأمة، ثم يتسع ليشمل التغيير العالمي الشامل[81].

وقد اعتبر بعض منتقدي الإخوان، أن استعانة البنا بمفهوم شمولية الإسلام، جاء مبرراً لتطور أيديولوجية الحركة خلال مراحل عملها التي كانت قاصرة على البعد الوعظي والأخلاقي في بداية تأسيس الجماعة، ثم تحولت لتستوعب أفكاراً سياسية[82].

وهو ما اعتبره بعضهم بداية قيام الحركات الإسلامية الحديثة بما يُعرف بـ "تسييس الإسلام"، أو "أسلمة السياسة"[83]*. في حين رأى آخرون أن

---

(78) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص143.

(79) قميحة، جابر، **الإمام الشهيد حسن البنّا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل**، مرجع سابق، ص55.

(80) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "دعوتنا"، مرجع سابق، ص18.

(81) المرجع السابق، رسالة "إلى الشباب"، ص177-178.

(82) انظر: حول هذا المعنى: هالة. **الإسلام السياسي في مصر**، مرجع سابق، ص75؛ رمضان، عبد العظيم. **جماعات التكفير في مصر: الأصول التاريخية والفكرية**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، ص27؛ متولي، محمد. **الإخوان المسلمون والعمل السياسي: دراسة تاريخية**، القاهرة: الفجر للطباعة، 1989م، ص31.

(83) لمزيد من التفاصيل انظر:

- Lia, Brynjan. The Society of the Muslim Brothers in Egypt: the Rise of an Islamic Mass Movement 1928-1942. 1998, p. 3

- السعيد، رفعت. **التأسلم السياسي وروافده**، مرجع سابق، ص13-27.

(*) رد حسن البنّا على القائلين بأن جماعة الإخوان المسلمين قد خالفت خطتها وانحرفت =

السياسة كانت تلازم دعوة الإخوان إلى الدين منذ بداية تكوين الجماعة، حيث بدأت حركة اجتماعية متزمتة puritan بغرض الخلاص من المجتمع الغربي والأجنبي والمفاسد، والوعظ للعودة إلى الأخلاق الإسلامية، خلافاً للجمعيات الإسلامية الخيرية، فكان للإخوان منذ البداية لوناً سياسياً واجتماعياً محدداً[84]. فلم يكن الهدف السياسي والاجتماعي غائباً عن إدراك البنا منذ تأسيس الجماعة، حيث كانت الدوافع الأساسية لدى البنا وأصحابه تتمحور حول رغبتهم في معرفة السبيل إلى خدمة الوطن والدين والأمة[85]*. ولذلك بدأ اهتمام البنا بالسياسة مع بدء تأسيس الحركة، إلا أن الإخوان لم ينخرطوا في التنافس الحزبي والصراع من أجل الوصول إلى الحكم في المرحلة الأولى من نشاط الجماعة[86].

ذلك يعني أن التطوير لم يكن في أيديولوجيا الحركة ولكنه ارتبط بالمنهج العملي للتغيير الذي اتبعه البنا للانتقال من المستوى النظري والفكري إلى

= عن طريقها وسلكت في السياسة قائلاً: (إن الجماعة لم تخالف خطتها وإنما انتقلت خطوة ثانية في طريقتها الإسلامية وخطتها المحمدية ومنهاجها القرآني، فالسياسة جزء من الدين) ومن هنا دعا الإخوان إلى الجهاد العملي بعد الدعوة القولية، وطلب منهم أن يتجهزوا لهذا الجهاد وأن يكونوا على استعداد لتحمل تبعاته وتكاليفه.
انظر: البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص165.

(84) Ibrahim, Ibrahim. "Islamic Revival in Egypt and Greater Syria," in Voll, John Obert. *Islam: Continuity and Change in the Modern World*, 1982, pp. 160-161.

(85) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص83-84.

(*) يذكر البنا أن رفاقه أتوا إليه وصرحوا بأنهم لا يستطيعون أن يدركوا الطريق للعمل كما يدرك، أو يتعرفوا السبيل إلى خدمة الوطن والدين والأمة كما يعرف، ومن ثم كانت البيعة لله بينهم على عدة أسس من بينها: (أن نكون لدعوة الإسلام جنداً وفيها حياة الوطن وعزة الأمة). وقد ذكر "توفيق يوسف الواعي" عدة أدلة نصية من إصدارات الجماعة وصحفها تؤكد اهتمام الإخوان بالقضايا العامة للمجتمع، وتناقش ممارسات الحكومات والسياسات المختلفة.
انظر: المرجع السابق، ص84.
- الواعي، توفيق يوسف. **الفكر السياسي المعاصر عند الإخوان المسلمين**، مرجع سابق، ص31-34.

(86) المرجع السابق، ص34.

المستوى العملي التطبيقي، بما يتضمنه ذلك من تدرج وتخطيط مرحلي قصده البنا وأدركه بدقة. ومن هنا قدم حسن البنّا مشروعاً اجتماعياً واقتصادياً إسلامياً للنهضة الشاملة. وقد برزت أهم عناصر هذا المشروع في تصميم البنا على محو جانباً من انحطاط المجتمع العربي المنهار، وخصوصاً الانتهازية الاجتماعية التي اختلطت مع الفساد الفردي. وقد أرادت حركة الإخوان المسلمين العودة إلى قواعد المجتمع ذات المقاييس الأخلاقية المقبولة في إطار رؤية تجديدية، والسير قدماً نحو برنامج عملي يطبق أهدافاً شعبية من خلال جماعة منظمة فعالة لإعداد أنصار يتمسكون بالمثل العليا[87].

وخلاصة القول إن اهتمام البنا بتجديد المفاهيم الإسلامية كان يهدف أساساً إلى إبراز "شمولية الإسلام"، والخروج بتلك المفاهيم من إطار الفكر النظري المجرد إلى نطاق النموذج العملي النهضوي الذي يسعى إلى معالجة مشكلات المجتمع معالجة واقعية، وتغيير الأوضاع تغييراً شاملاً. ولذلك تميزت العقيدة الفكرية التي آمن بها الشيخ حسن البنّا بأنها لم تكن صيغاً فلسفية بحتة، ولكنها منظومة فكرية تنبثق من المصادر الإسلامية الأساسية، وهي في الوقت نفسه تضم أفكاراً تستند إلى خبرات الواقع الخاصة بالأمة الإسلامية في العصر الحديث.

ثالثاً: وجهة نظر الشيخ البنّا في التغير الاجتماعي

كان من نتيجة الفهم العام الشامل للإسلام عند الشيخ حسن البنّا أن شملت أفكاره كل نواحي الإصلاح في الأمة الإسلامية، وهكذا طرح البنا قضية التغير الاجتماعي في إطار شمولية الإسلام، وعكست وجهة نظره في التغير صورة متكاملة لجوانب الظاهرة كافة، فتناول قوانين التغير الاجتماعي، وناقش طبيعة التغير وأنماطه المختلفة، كما اهتم بآليات التغير وشغله البحث حول متطلبات التغيير وسبل التجديد، ووسائل التغير الاجتماعي، وقبل ذلك كله كان البنا قد حدد بدقة أهداف التغير الاجتماعي التي يجب أن يسعى

(87) Smith, Wilfred Cantwell. *Islam in Modern History*. 1957, p. 156.

إليها المجتمع المسلم. وحرص البنا على مناقشة مجمل هذه القضايا استناداً إلى رؤية قرآنية واضحة، ويمكن استعراض أفكار الشيخ حسن البنا التي قدمها حول التغير الاجتماعي فيما يلي:

1 - قوانين التغير الاجتماعي

استناداً إلى مبدأ شمولية الإسلام، قدم حسن البنّا رؤية إسلامية لمفهوم التغير الاجتماعي الشامل لجوانب الحياة كافة. وقد تشكلت تلك الرؤية اعتماداً على مجموعة من القوانين والسنن التي تحكم عملية التغير وتحدد مسارها وغايتها ووسائلها. والملاحظ أن تصورات البنا حول سنن التغير تتفق مع رؤية الإمام محمد عبده والسيد رشيد رضا، ذلك لأنه استخلص تلك السنن بالرجوع إلى المصادر نفسها التي رجع إليها الشيخان، بالاعتماد على النص القرآني لتأكيد حتمية هذه السنن، وكذلك بالاعتماد على دراسة حركة التاريخ وتاريخ الحضارات البائدة لتصوير ملامح هذه السنن والقوانين. وعلى ذلك حدد البنا أربعة قوانين أساسية تتحكم في عملية التغير الاجتماعي هي:

أ - قانون القوة الروحية الدافعة

رأى حسن البنّا أن (الدوافع النفسية والإلهامات الروحية هي مدد الدعوات وغذاؤها، وعليها يتوقف انتصارها ونماؤها... إن من وراء المظاهر جميعاً في كل دعوة روحاً دافعة،وقوة باطنة تسيرها وتهيمن عليها وتدفع إليها، ومحال أن تنهض أمة بغير هذه اليقظة الحقيقية في النفوس والأرواح والمشاعر)[88]. ومن هنا أكد البنا أن من أهم قوانين التغير الاجتماعي "القوة الروحية الدافعة". وهذه القوة الدافعة تنبع عن العقيدة الراسخة التي تقذف في قلوب أصحابها ثلاثة مشاعر: الإيمان بعظمة الرسالة، والاعتزاز باعتناقها، والأمل في تأييد الله إياها. وبهذه الأركان الثلاثة تتحدد الأهداف في هذه

(88) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام الشهيد**، رسالة "دعوتنا في طور جديد"، مرجع سابق، ص232.

الحياة[89]. ولتأييد رؤيته ذكر البنا أن هذا ما فعله رسول الله ﷺ، فقد ركز دعوته في نفوس الرعيل الأول، ودعاهم إلى الإيمان والعمل ثم جمع قلوبهم على الحب والإخاء، فاجتمعت قوة العقيدة إلى قوة الوحدة وصارت جماعتهم هي الجماعة النموذجية التي لابد أن تظهر كلمتها وتنتصر دعوتها. وإن ناوأها أهل الأرض جميعاً[90].

ب - قانون التغيير الذاتي

ذهب حسن البنّا إلى أن (الأخلاق والمعاني الخلقية العملية هي في الواقع أساس الصلاح والحياة الطيبة وغرسها في الأفراد والأمم. فإذا أرادت أمة أن تكون صالحة قوية، فلتبدأ بالقلوب تصلحها ثم تصلح أخلاقها. . . "ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم")[91]. وعلى ذلك رأى البنا أن سنن التغير الاجتماعي تحتم تغيير الأنفس أولاً، (فصلاح النفوس هو صلاح الأمة، وتغيير النفوس هو تغيير الأمة)[92]. وتلك سنة ثابتة لا تتبدل، (هذا هو قانون الله تبارك وتعالى وسنته في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً)[93]. وصلاح الأنفس كما يفهمه البنا ليس إصلاحاً حسياً فحسب، ولكنه إصلاح معنوي أيضاً، ولذلك يقول البنا: (نريد الإصلاح المعنوي أيضاً فنحاسب أنفسنا حساباً عسيراً، ونقف منها موقف الطبيب من مريضه. . .)[94]. وذلك يعنى تغييراً ذاتياً يقوم على محاسبة النفس ومحاسبة الآخرين، وقد رأى البنا أن هذا التغيير الذاتي (هو محور الارتكاز في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو المقياس الذي يزن الله به الأمم. . . ولو أخذنا بقاعدة الأمر

(89) المرجع السابق، ص234-235.
(90) المرجع السابق، ص240.
(91) البنّا، حسن. **حديث الثلاثاء للإمام حسن البنّا**، تسجيل أحمد عيسى عاشور، القاهرة: مكتبة القرآن، 1985م، ص331.
(92) المرجع السابق، ص332.
(93) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "إلى أي شيء ندعو الناس"، مرجع سابق، ص45
(94) البنّا، حسن. **حديث الثلاثاء**، مرجع سابق، ص345

بالمعروف والنهي عن المنكر، لاستطعنا أن نعالج أمراضنا)[95].

ج - قانون التدافع الإنساني (الصراع)

اعتقد حسن البنّا أن التغيير أوالنهضة لا تحدث دون مواجهة وتدافع وصراع، فالأمة إذا أرادت أن تنجح في نهضتها يجب أن تعد نفسها لكفاح عنيف وصراع قوي شديد. وعلى ذلك يقول: (شاءت لنا الظروف أن ننشأ في هذا الجيل الذي تتزاحم الأمم فيه بالمناكب وتتنازع للبقاء أشد التنازع، وتكون الغلبة دائماً للقوي السابق)[96]. ويوضح ذلك إيمان البنا بالفكرة التطورية القائلة بأن البقاء للأقوى، ومن ثم ارتبط التغيير عنده بالصراع بين الحق والباطل، وبين النافع والضار. فالصراع الذي يعنيه البنا ليس صراعاً اجتماعياً فحسب، ولكنه صراع سياسي ثقافي واقتصادي أيضاً. أو بالأحرى صراع حضاري متعدد الأبعاد. حيث يقرر البنا (إن الأمة التي تحيط بها ظروف كظروفنا، وتنهض لمهمة كمهمتنا، وتواجه واجبات كتلك التي نواجهها لا ينفعها أن تتسلى بالمسكنات أو تتعلل بالآمال والأماني، وإنما عليها أن تعد نفسها لكفاح طويل عنيف وصراع قوى شديد: بين الحق والباطل وبين النافع والضار وبين صاحب الحق وغاصبه... إن عليها أن تعلم أن الجهاد من الجهد، والجهد هو التعب والعناء)[97].

د - قانون التداول والاستبدال الحضـاري

يقر حسن البنّا بسقوط الحضارات وانهيارها، عندما تتكاثر الأمراض والعلل الاجتماعية، ومن هنا ينشأ قانون (الاستبدال) أو الاستخلاف. وفي ذلك يقول: (... إن مثل الأمم في قوتها وضعفها وشبابها وشيخوختها وصحتها وسقمها مثل الأفراد سواء بسواء. فالفرد بينما تراه قوياً معافى

---

(95) المرجع السابق، ص345.

(96) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "هل نحن قوم عمليون"، مرجع سابق، ص68.

(97) المرجع السابق، ص69.

صحيحاً سليماً، إذا بك تراه وقد انتابته العلل وأحاطت به الأسقام... ولا يزال يشكو ويئن حتى تتداركه رحمة الله تبارك وتعالى بطبيب ماهر... يحسن تشخيصها ويخلص في علاجه، فإذا بك بعد حين ترى هذا المريض وقد عادت إليه قوته ورجعت له صحته)[98].

وبهذا التمثيل العضوي للمجتمع، رأى البنا أن علاج ضعف الأمة ممكن، إلا أنه حذر من الاستهانة بحالة الضعف والاستكانة لها والتي قد تؤدي إلى انهيار الحضارة، والإبادة الكلية لآثارها من الوجود[99]. وقد يؤدي هذا الانهيار إلى شكل جديد من الاستخلاف الحضاري، أو يؤدى إلى استرقاق الأمة واستعمار الوطن[100]. وهنا تخضع عملية التغير لقانون التداول. ومن ثم يوضح البنا أن قانون التداول يسرى على جميع الأمم المؤمنة والكافرة على السواء. طالما توفرت الشروط والعوامل المختلفة التي تؤدي إلى تحلل الأمة، ومن أهمها -في نظره- الخلافات السياسية، والخلافات الدينية والمذهبية، والعوامل الاجتماعية مثل الانغماس في ألوان الترف وإهمال العلوم العملية والمعارف الكونية، وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم من غيرهم[101]*.

يتبين من استعراض قوانين التغير الاجتماعي التي ركز عليها البنا، أن رؤيته للتغير الاجتماعي تقوم على افتراض التطور كفكرة محورية تفسر التغير في حركة دورية مابين النهضة والانهيار. ولكنه برغم ذلك لم يكن يعتقد أن حركة التاريخ تسير في دائرة مغلقة، حيث كانت له رؤية تقدمية تصور نهاية

---

(98) المرجع السابق، رسالة "دعوتنا"، ص27.

(99) المرجع السابق، ص28.

(100) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص226.

(101) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة" بين الأمس واليوم"، مرجع سابق، ص96-98.

(*) يشير البنا إلى تلك العوامل وغيرها باعتبارها الأسباب التي أدت إلى تحلل الدولة الإسلامية، ومكنت الاستعمار الغربي من هزيمة الأمة.
المرجع السابق، ص 98-105.

الصراع، وتنتهي إلى وصول البشرية إلى غاية التقدم الإنساني من خلال سيادة المبادئ الإسلامية.

2 - طبيعة التغير الاجتماعي وأنماطه

تميز مفهوم التغير الاجتماعي في تصور الشيخ حسن البنّا برؤية تفسيرية تقوم على مستويين. وتتضمن الإشارة إلى نمطين من أنماط التغير الاجتماعي: **النمط الأول** يتمثل في (الدورة الحضارية) باعتباره نمطاً للتغير الاجتماعي يتم على مستوى الأمة أو المجتمع، واستخدم البنا ثنائية (النهضة-الانحطاط) في تحليله لهذا النمط باعتبارهما طورين تمر بهما حياة الأمة وفق سنن اجتماعية تحدد مسار وعوامل التغير الاجتماعي. أما **النمط الآخر** فيتمثل في (التغير التقدمي)، وهذا النمط استخدمه البنا عند تفسيره للتغير العالمي. فالتغير على مستوى الحضارة الإنسانية منذ بدء الخليقة يحدث بصورة ارتقائية حتمية تنتهي بوصول الإنسانية إلى أسمى درجات الحضارة، حيث يتحقق ذلك حينما تسود الحضارة الإسلامية العالم، وهي المرحلة الأخيرة لتطور المجتمعات البشرية في رأيه. ووفقاً لتلك الرؤية طرح البنا تصوره لطبيعة التغير الاجتماعي.

في سياق رؤيته لمظاهر تخلف الأمة، وفي إطار اهتمامه بالبحث عن كيفية الانتقال من حالة الانحطاط إلى التقدم، ناقش الشيخ حسن البنّا مفهوم الدورة الحضارية، واستخدم مصطلح "النهضة" للتعبير عن التغير الاجتماعي. ويعد اختيار البنا لهذا المصطلح متسقاً مع تصوراته النظرية حول سنن التغير الاجتماعي التي ساقها من القرآن الكريم، وحاول تأكيدها استناداً إلى الوقائع التاريخية، وكذلك عكس هذا المصطلح ملامح المنهج الذي خطه لدفع مشروعه التغييري وفق حركة إسلامية جماهيرية شاملة.

ولئن كان رواد التجديد والإصلاح الإسلامي جميعهم قد اتفقوا في صياغة رؤاهم على مسلمة واحدة تقضى بأن تغيير المجتمع يبدأ من تغيير الأنفس، فإن البنا بدأ من هذه المسلمة نفسها ليؤسس مشروعه التغييري. إلا أن جهود البنا كانت تتميز عما سبقها بربط الفكر بالواقع، ولذلك كانت النهضة عنده

تعنى أولاً "ثورة على النفس"، إذ ذهب إلى أنـه (محال أن تنهض أمة بغير اليقظة في النفوس والأرواح والمشاعر: إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[102]. (فنحن نريد أول ما نريد يقظة الروح وحياة القلوب، صحوة حقيقية في الوجدان والمشاعر...)[103]. وهكذا يشكل تغيير الأنفس نقطة البدء في عملية التغيير الاجتماعي، وهذا ما عبر عنه البنا بلفظي (اليقظة) و(الصحوة)، مما يدل على اهتمامه بالبناء الأخلاقي والنسق الفكري السائد في المجتمع، حيث رأى أن انهيارهما أحد أسباب تخلف الأمة، وذهب البنا إلى أن سبب ضعف الأمم وذلة الشعوب، وهن نفوسها وضعف قلوبها وخلاء أفئدتها من الأخلاق الفاضلة وصفات الرجولة الصحيحة، وإن كثر عددها وزادت خيراتها[104]. وبذلك ركز البنا بشكل أساسي على العوامل الثقافية في تفسير التغير الاجتماعي، ولكنه برغم ذلك لم يعتمد على التفسير الأحادي لعوامل التغير. فقد قدم مجموعة من العوامل السياسية والدينية والاجتماعية الداخلية، بالإضافة لبعض العوامل الخارجية التي اعتبرها أسباباً لانكسار المجتمع الإسلامي[105]

ويبدو أن حسن البنّا قد أدرك أن إعادة صياغة الأفراد لا تكفي وحدها لدفع عملية التغيير، طالما أن سلوك الإنسان وأفكاره ترتبط بالتقاليد والعادات الراسخة التي تفرض على الفرد من الخارج. ولذا اهتم بمسألة التغيير الفردي مدخلاً للتغيير الاجتماعي، ولكنه في الوقت نفسه حرص على الدعوة إلى تعديل الأوضاع الاجتماعية، حيث رأى أن (الدعوة في حقيقة أمرها ليست إلا خروجاً عن المألوفات وتغييراً للعادات والأوضاع)[106]. وبذلك أولى الإصلاح الفردي اهتماماً بالغاً إلى جانب اهتمامه بإصلاح البناء الاجتماعي، فنادى بإصلاح شامل كامل تتعاون عليه قوى الأمة جميعاً وتتجه نحوه الأمة

(102) المرجع السابق، ص232.
(103) المرجع السابق، ص233.
(104) المرجع السابق، رسالة "إلى أي شيء ندعو الناس"، ص45.
(105) المرجع السابق، رسالة "بين الأمس واليوم"، ص97-98.
(106) المرجع السابق، ص108.

جميعاً ويتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل[107].

ومن ثم طرح رؤية واسعة لمجالات التغيير تشمل مختلف النظم في المجتمع، تبدأ من تغيير نظام الفرد في سلوكه الخاص، ثم نظام الأسرة، فالنظام الثقافي والتعليمي، والنظام القضائي، ونظام العلاقات الدولية، حتى تنتهي إلى تغيير نظام الحكم[108]. وهكذا أدرك حسن البنّا أسباب انهيار المجتمع، ولكنه لم يتوقف عند تشخيص أزمة الأمة فقط، بل حاول تقديم تصوره الخاص لحل تلك الأزمة. وبذلك انتقل إلى صياغة مفهوم النهضة، وفي هذا الإطار عالج مجموعة من القضايا مثل شروط النهضة ومستوياتها، وأولويات التغيير والقوى الدافعة إلى التغيير الاجتماعي، وفيما يلي عرض لتلك القضايا.

- مفهوم النهضة

استخدم حسن البنّا ثنائية (النهضة-الانحطاط) كعمليتين للتغير الاجتماعي تقودان المجتمع إما للقوة والتقدم وإما للضعف والتخلف، «فكل أمة بين طورين لا ثالث لهما، يخلف كل منهما الآخر متى توفرت دواعيه وأسبابه، وهذان الطوران هما طور القوة وطور الضعف»[109]. واعتبر البنا أن تطور الأمم يقرر سنة من سنن الله في حياة الأمم[110]. وبذلك يتفق البنا كثيراً مع ابن خلدون في رؤيته حول الحضارة باعتبارها غاية العمران الذي إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ في الهرم، ثم تأخذ الحضارة في الانحطاط بعد ذلك[111]. وتلك الفكرة نجدها واضحة عند الإمام محمد عبده، مما يشير إلى أنه يشكل استمراراً للخط الفكري نفسه، وقد كان أمراً منطقياً أن تعبر رؤية البنا عن صياغة جديدة للفكرة نفسها، إذ أن الجميع استندوا إلى إطار مرجعي واحد هو القرآن الكريم*.

---

(107) المرجع السابق، رسالة" المؤتمر السادس"، ص205.

(108) المرجع السابق، رسالة" الإخوان المسلمون تحت راية القرآن"، ص191-192.

(109) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص222.

(110) المرجع السابق، ص214.

(111) ابن خلدون، عبد الرحمن. **المقدمة**، مرجع سابق، ص334-336.

(*) يشير البنا إلى آيات قرآنية لتأكيد الفكرة، من ذلك قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن =

وفي هذا الصدد يقرر البنا (إن مثل الأمم في قوتها وضعفها وشبابها وشيخوختها وصحتها وسقمها مثل الأفراد سواء بسواء، فالفرد بينما تراه قوياً معافى صحيحاً سليماً، إذا بك تراه وقد انتابته العلل وأحاطت به الأسقام وهدت بنيته القوية الأمراض والآلام ولايزال يشكو ويئن حتى تتداركه رحمة الله بطبيب ماهر... يخلص في علاجه، فإذا بك بعد حين ترى هذا المريض وقد عادت إليه قوته، وربما كان بعد هذا العلاج خيراً منه قبله... قل مثل ذلك في الأمم تماماً)[112]. وطبقاً لتلك الرؤية تناول البنا مفهوم النهضة للإشارة إلى التغير الاجتماعي القائم على الصراع الحضاري بين الأمم. مما يتطلب حركة ثورية تدفع التغيير وتمتلك القوى التي تقود إلى الفوز في هذا الصراع، وهو ما اعتبره البنا أحد شروط النهضة.

- شـروط النهضـة

حدد البنا قوتين لابد منهما، واعتبرهما شرطاً ضرورياً لنجاح النهضة هما: القوة الروحية التي تعنى الإيمان القوى المتين المرتكز على قواعد ثابتة، والقوة المادية التي يتشكل بها هذا الإيمان، فيعرب للناس عن وجوده، ويبرهن للخصوم عن قوته وثباته[113]. ورأى البنا أن الاعتماد على إحدى القوتين فقط لا يكفى، فمن الناس من ينصرف إلى القوة الروحية ويراها كل شيء، ومنهم من ينصرف إلى المادة وحدها، ويرى أنه لا حاجة إلى ما سواها، وكلا النظرتين ترى النهضة من جانب واحد، والمصلح إنما ينظر إليها من كل ناحية[114]*.

= تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ [البَقَرَة: 214].

(112) البنّا، حسن: **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "دعوتنا"، مرجع سابق، ص27.

(113) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص199.

(114) المرجع السابق، ص199.

(*) كان البنا كثيراً ما ينتقد دعاة التغريب ممن يعجبون ويتغنون بآداب وفنون الغرب. هؤلاء المفتونون برقى أوروبا والحضارة الغربية الذين ظنوا أن العلم والقوة المادية فقط شكلت عوامل التقدم، واعتبروا الالتزام الديني والدعوة إلى تحكيم الشريعة معبراً عن الرجعية والتخلف. وقد رد البنا على هؤلاء قائلاً: (إن أساتذتهم من العلماء الغربيين قد أعلنوا =

وعلى ذلك حذر البنا من الانقياد نحو التبعية للغرب عند تحديد أركان النهضة، بالتركيز على القوة المادية وإغفال القوة الروحية، ورأى أنه إن صح في الأمم الغربية أن النهضة... لم تقم إلا على تحطيم الدين والتخلص من السلطة البابوية، وفصل الدين عن سياسة الدولة عامة فصلاً تاماً، فلا يصح ذلك أبداً في الأمم الإسلامية لاختلاف طبيعة التعاليم الإسلامية عن طبيعة تعاليم أى دين آخر. فالقواعد الأساسية للإسلام تساير العصور وتدعو إلى الترقي، وتعضد العلم وتحمى العلماء[115]. ومن هنا اعتبر البنا أن أحد شروط النهضة الأساسية يتحدد في الاعتماد على القواعد والتعاليم الدينية. أما الشرط الثاني للنهضة فيتمثل في التخلي عن اليأس والتحلي بالصبر والأمل. حيث اعتبر اليأس سنة من سنن الانحطاط الذي يعد نقيضاً للنهضة، ورأى القنوط داءاً اجتماعياً يكرس التخلف والانهيار الاجتماعي[116]. ولذا قدم تصوراً متكاملاً لما أسماه (اليقظة الروحية).

ويتميز هذا التصور بكونه مدخلاً عملياً يتم في ثلاثة مستويات، **المستوى الأول**: اليقظة على مستوى الفرد، وهنا يطرح الشيخ البنا أربعة أسس لهذه اليقظة يجب أن تنمو في الفرد المسلم وتتمثل في وجدان شاعر يتذوق الجمال والقبح، وإدراك صحيح يتصور الصواب والخطأ، وإرادة حازمة لا تضعف ولا تلين أمام الحق، وأخيراً تتمثل في جسم سليم يقوم بأعباء الواجبات الإنسانية ليصبح أداة صالحة لتحقيق الإرادة الصالحة. وحدد البنا عدة وسائل عملية للوصول إلى هذه الأسس، منها العبادات الإسلامية التي ترقى بالوجدان، والتعليم وسعة العلم الذي يوسع الإدراك، ثم التخلق بأخلاق الإسلام التي

= عجزهم واعترفوا بالقصور)، ولكي يدلل البنا على صدق قضيته، يعرض العبرة من التاريخ الحديث، مشيراً إلى هزيمة فرنسا أمام ألمانيا في أيام قلائل في الحرب العالمية الثانية، موضحاً أنه مهما امتلكت الأمة من قوة مادية ومن تقدم علمي فإنه يسهل تدميرها والانتصار عليها طالما سيطرت عليها روح الملذات وسادها الفسق والترف. انظر: المرجع السابق، ص 366، 402.

(115) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام، رسالة "نحو النور"**، مرجع سابق، ص287-288.

(116) المرجع السابق، رسالة "دعوتنا في طور جديد"، ص235.

تقوى الإرادة، والالتزام بنظام الإسلام في الطعام والشراب والنوم الذي يحفظ على الفرد بدنه من الأمراض. وفي هذا السياق لا يفوت البنا التأكيد على أن الفرد المسلم يعنى (الرجل والمرأة)، فهذه الأسس يضعها الإسلام للصنفين فهما في الناحية الفردية سواء[117]. و**المستوى الثاني** : اليقظة على مستوى الأسرة، حيث رأى البنا أن الإصلاح الفردي سيكون له أثره في الأسرة، فإذا صلح الرجل وصلحت المرأة، وهما عماد الأسرة، استطاعا أن يكونا بيتاً نموذجياً وفق القواعد التي وضعها الإسلام[118]. أما **المستوى الثالث** فاليقظة على مستوى الأمة، واليقظة على مستوى الأمة محصلة منطقية للإصلاح الأسرى نظراً لكون الأسرة نواة للمجتمع. ومن هنا ذهب البنا إلى إنه إذا صلحت الأسرة صلح المجتمع. وإنما الأسرة أمة مصغرة والأمة أسرة كبيرة[119].

وعلى ذلك نبه إلى أن إصلاح المجتمع يجب أن يبدأ من الفرد المسلم، والبيت المسلم، والشعب المسلم. وقبل ذلك يجب أن تسود الفكرة الإسلامية حتى تؤثر في كل هذه الأوضاع وتصبغها بصبغة الإسلام[120]. على هذا النحو تكشف النظرة السابقة عن التزام البنا بفكرة محورية تتعلق بنسق الدين، حيث تشكل القيم الدينية ضوابط تحكم حركة التغيير الاجتماعي وتحدد مساره دائماً.

- أولويات التغير الاجتماعي في إطار النهضة

عندما ناقش حسن البنّا أولويات التغيير في إطار النهضة، رصد مظاهر الضعف وأعراضه في حياة الأمم الشرقية التي تشعبت في مختلف أنساق المجتمع، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنفسية. وركز على مجموعة من المظاهر التي أصابت البناء الاجتماعي بالضعف والتخلف، واعتبرها من أهم أولويات التغيير. ويبدأ البنا أولاً باستعراض مظاهر الضعف

(117) المرجع السابق، ص236.
(118) المرجع السابق، ص236.
(119) المرجع السابق، ص236.
(120) المرجع السابق، ص237.

في النسق السياسي مشيراً إلى الاستعمار والصراعات الحزبية، ثم يتناول النسق الاقتصادي ويركز على انتشار الربا بين طبقات المجتمع، ثم استيلاء الشركات الأجنبية على مواد البلاد وخيراتها، وينتقل إلى النسق الثقافي موضحاً إصابة الأمة بالفوضى والمروق والإلحاد وهدم العقائد وتحطيم المثل العليا. أما فيما يتعلق بالنسق الاجتماعي، فقد ركز على إصابة المجتمع بالإباحية في عادتها وأخلاقها والتحلل من الفضائل والتقليد الغربي في مناحي الحياة، وبالقوانين الوضعية غير العادلة وبفوضى في سياسة التعليم والتربية[121]. ورأى البنا أن مظاهر الضعف والتخلف تكفى لإبادة المجتمع[122]. مما جعله يؤكد أن ضعف المجتمع وتخلفه أمر لا يحتمل الاستهانة به، والاستكانة إليه، فالأمة حين تأخذ في الضعف ويدب إليها دبيب السقم الاجتماعي، لاتزال تضعف حتى تتجدد أو تبيد[123]. وعلى ذلك يصبح خيار التجديد والتغيير مصيرياً، والمجتمع الذي لا يختار سبيل التجدد يكون قد اختار سبيل الإبادة.

- القوى الدافعة للتغيير

كان الشيخ حسن البنّا يؤمن بقدرة الجماهير ودورهم الفاعل في تحقيق التغيير الاجتماعي. كما كان يؤمن بأنّ دور القيادة الرئيس والجوهري شرط مهم لتحقيق النهضة. ولذلك أكد على قوة العلاقة بين القائد المصلح، وبين الأمة من أجل إحراز النجاح في عملية التغيير. وفيما يتعلق بالقيادة بوصفها قوة دافعة للتغيير، رأى البنا أن سبيل التجدد يحتم وجود المصلحين والقادة، ووصفهم بمصابيح الهدى وشموس النهضات. ويعتقد البنا أن ظهور المصلحين المجاهدين في سبيل إحياء الأمم شرط لتحقيق الإصلاح الاجتماعي والسياسي، وهو ما تقرره سنة إلهية في بناء الأمم[124].

---

(121) المرجع السابق، رسالة "دعوتنا"، ص28.

(122) المرجع السابق، ص28.

(123) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص223.

(124) المرجع السابق، ص223.

وحول دور القائد في تقدم المجتمع، رأى البنا أن أهم وظيفة للقائد أن (يختط سبل الإصلاح الاجتماعي والسياسي، ويحدث في أمته وبها ثورة فكرية عملية تدفع الإنسانية إلى الأمام عدة مراحل[125]. وحدد الشيخ البنا عدة مقاييس اعتبرها خصائص جوهرية ينبغي أن تتوفر للقائد المصلح، حيث جعل الموهبة والقوة والعلم والإيمان والإرادة مقاييس للقائد الناجح[126]. وطبقاً لذلك جعل معايير اختيار المصلح الإسلامي أن يكون فقيهاً مرشداً، ولا يتصور البنا أن يكون الفقه شرطاً أوحد لاختيار المصلح، فليس كل فقيه يمكن أن يصبح قائداً. والمصلح الإسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله، فإن النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة في واد ونفخة في رماد[127]. وعلى ذلك رأى البنا أن الموهبة تمثل المعيار الثاني بعد الفقه، ولذلك رفض توريث القيادة، حيث رأى أن (الزعامة في ساعة الخطر أسمى من المواريث والتقاليد وفق العرف والعادات، إنها المواهب وكفى)[128]. واستخلص البنا عدة مهام ترسم دور القائد المصلح أهمها: التخطيط الاجتماعي والسياسي، وإعداد الأمة فكرياً وعملياً للنهوض بالمجتمع[129]. وبهذا كشفت رؤية البنا عن أدوار غير تقليدية لرجال الإصلاح، حيث أبرزت العلاقة بين القائد وأفراد المجتمع. الذين اعتبرهم قوة فاعلة مجاهدة وليسوا قطيعاً يحركه القائد.

واهتم البنا بتأكيد دور الجماهير في النهضة، فهم، في رأيه، شركاء في التغيير، ومن هنا حملهم المسؤولية عن فساد النظام الاجتماعي كما حملها للحكام، لذلك رأى أن على الجماهير مسؤولية مواجهة هذا الفساد، وهذا يتطلب منها (تحطيم هذا الوضع الفاسد وأن تستبدل به نظاماً اجتماعياً خيراً منه)[130]. وانطلاقاً من هذه القاعدة حدد وظائف الأمة وواجباتها في النهضة:

---

(125) المرجع السابق، ص196.

(126) المرجع السابق، ص228.

(127) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "بين الأمس واليوم"، ص136.

(128) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص228.

(129) المرجع السابق، ص197.

(130) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "المؤتمر السادس"، ص211-212.

أولاً أن تستذكر دائماً مثلها الأعلى وتجعله القائد في نهضتها. وثانياً أن تتعرف الأمة خطواتها ومدى نجاحها، وأن تجعل النصر سبيلاً إلى نصر آخر، وما تزال الأمة بخير مادامت مجاهدة. وثالثاً أن تحتمل التضحيات وتصبر على المشاق في كفاحها ونضالها[131].

والملاحظ أن الشيخ البنا كان حريصاً على تأكيد أن عناصر الأمة كافة، رجالاً ونساءاً، شركاء في عملية النهضة. حيث أشار إلى أن المرأة يقع عليها ما يقع على الرجل من واجبات، وإن اختلفت مهمة كل منهما والدور المكلف به، لذلك اعتبر البنا أن الأصل الخامس من أصول الإصلاح الاجتماعي الشامل يتحدد فى (النهوض بالرجل والمرأة جميعاً وإعلان التكامل والمساواة بينهما وتحديد مهمة كل منهما تحديداً دقيقاً)[132]. وبهذا تجاوز النظرة التقليدية للمرأة التي تنظر إلى المرأة على أنّها عنصر مستهدف في عملية التغيير، وتسعى إلى تحسين أوضاعها، أو المطالبة لها ببعض الحقوق. وانطلق من رؤية إسلامية تضع المرأة داخل حركة التغيير عنصراً فاعلاً في بناء المجتمع ورقيه* بوصفها إحدى القوى الدافعة للنهضة.

أما القوة الثانية التي اهتم بها حسن البنّا فقد تمثلت في قطاع الشباب. حيث أدرك أن الشباب يمثلون دعامة أساسية للنهضة، ولذا كان يقدر أهمية إقبال الشباب على أفكاره الإصلاحية معتبراً أن ذلك توفيق كبير للدعوة[133]. فقد أيقن أن التجارب أثبتت عجز أولى أمر المسلمين عن أداء مهمة الجهاد من أجل الإسلام، ولذلك قرر أن هذه المهمة يتولاها النشء الجديد الذي يجب أن يربى على استقلال النفس والقلب واستقلال الفكر والعقل واستقلال

---

(131) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص200-201.

(132) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "بين الأمس واليوم"، ص93-94.

(*) من هذا المنطلق كان للمرأة دور فاعل في حركة الإخوان المسلمين، حيث تكونت فرقة للأخوات المسلمات غايتها نشر تعاليم الإسلام وبث آدابه ومبادئه في نفس الفتاة المسلمة والأسرة المسلمة.

انظر: البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص176.

(133) المرجع السابق، ص131.

الجهاد والعمل[134]. وآمن البنا بقدرة الشباب على إنجاح حركة التغيير المنشود لامتلاكه الخصائص المؤدية إلى تحقيق ذلك. وعبر عن ذلك بقوله: (إنما تنجح الفكرة إذا قوى الإيمان بها، وتوفر الإخلاص في سبيلها وازدادت الحماسة لها، ووجد الاستعداد الذي يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها. وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة: الإيمان والإخلاص والحماسة والعمل من خصائص الشباب)[135].

خلاصة ما سبق أن الشيخ حسن البنّا اهتم بالقوى الاجتماعية الدافعة للتغيير، وركز على قطاعين فاعلين مؤثرين في عملية التغيير هما الشباب والمرأة. ومن هنا طالب البنا جماهير الأمة جميعاً أن يحملوا عبء الجهاد مهما كانت ظروفهم، وكان يحرضهم على (النفير العام)[136]. مقرراً أن (بناة الأمم ودعاة الحق ودعائم الإصلاح لابد أن يجاهدوا ولابد أن يستعدوا لكفاح طويل لا نهاية له، فإن حاجات الأمم أطول من أعمارها مهما طالت، وعليهم ألا يقصروا أو ينوا في أداء المهمة)[137]. وعلى ذلك نظر البنا إلى التغيير الاجتماعي على أنّه حركة تدفعها القوى الاجتماعية المختلفة، مما يستلزم تكامل الأدوار وتكاتف الجهود والاستعداد لتحمل مسؤولية التغيير. وبذلك يشكل التغير الاجتماعي نتاجاً لتلك القوى عندما يتنامى داخلها الإيمان والإخلاص والحماس والعمل، مما يعنى أن الوعي بأهمية التغيير، ونمو الإرادة الإنسانية من الشروط الأساسية لإحداث التغير الاجتماعي.

وعند مناقشته لقضية التغير العالمي تعرض الشيخ حسن البنّا لنمط التغير التقدمي، على أساس أن التغير العالمي يتخذ مساراً تطورياً تقدمياً، وبذلك ربط حركة التاريخ الإنساني بفكرة التطور. ويتضح ذلك في قوله: (تسير البشرية قدماً نحو الكمال الذي كتبه الله لها يوم شاء أن يستخلف الإنسان في

---

(134) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، "الإخوان المسلمون تحت راية القرآن"، مرجع سابق، ص197

(135) المرجع السابق، رسالة "إلى الشباب"، ص183.

(136) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص303.

(137) المرجع السابق، ص 304.

الكون، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً، والبشرية في محاولتها هذه أحياناً تستوحى الشعر والخيال... وأحياناً تستوحى الفكر والعقل فيرشدها إلى تجارب في تكوين الأمم وتربية الشعوب كثيراً ما تكون طويلة المدى وكثيراً ما تنزع بها المعاكسات العاطفية نحوها إلى جهة خطأ فتصبح عقيمة النتائج فاسدة الآثار)[138].

يكشف ما سبق عن تصور البنا للتغير الاجتماعي العالمي الذي يتجه نحو التطور الارتقائي، ولكنه في الواقع لا يتصور أن يتخذ التطور مساراً خطياً تصاعدياً. إذ رأى في هذا الشكل من التطور الإنساني إشارة إلى نهضة الإنسانية التي يقودها الأدباء والعلماء والساسة ورجال الاجتماع ورجال الإصلاح الفكري. لذلك يقول البنا: (تسمع عن الشعراء وقادة العواطف وتسمع عن أساطين العلم... وتسمع عن زعماء الأمم في السياسة والاجتماع والثورات الفكرية والعلمية، وتسمع عن زعماء الأمم وبناة الدول، فتصف أولئك جميعاً بالزعماء وترى منهم رؤوساً تنهض بالإنسانية نحو الكمال)[139]. وهكذا عبر البنا عن رؤيته التطورية التي اختلفت، بلا شك، عن مذهب الداروينية القائل بحصول التحول الارتقائي، وفي الوقت نفسه اقتربت من مذهب بعض المفكرين المسلمين القدامى الذين ذهبوا إلى قبول فكرة التطور، ورأى بعضهم أن التطور قانون الوجود قاطبة، مع رفضهم فكرة التحول[140].

وعلى ذلك ربط البنا بين التطور الإنساني وقضية الإرادة الإنسانية، كما ربطه بالتخطيط المسبق والغاية المستهدفة من التقدم والكمال الإنساني. ومن هنا كان اعتراف البنا بتطور العقل البشري، على أساس أنه في نشوئه وتكوينه مشابهاً لنمو الفرد الواحد في أطوار وأدوار. (فهو ينشأ ضعيفاً لا يكاد يدرك ما حوله ثم تتسع أمامه آفاق الإدراك وحدوده فلا يزال يتعلم حتى يبلغ أقصى

---

(138) المرجع السابق، ص196.

(139) المرجع السابق، ص197

(140) انظر: عزام، محفوظ على حسن. (نظرية التطور عند مفكري الإسلام: دراسة مقارنة)، رسالة دكتوراة "غير منشورة"، دار العلوم، جامعة القاهرة، 1982م، ص132-135

قوته...)[141]. غير أنه لا ينسب هذا التطور إلى الطبيعة، ولا يتصور حدوث تحول بيولوجي في تركيب العقل البشرى، ولكنه يعتقد أن (العقل الإنساني في نشأته وأدوار حياته وأطوار نموه دائم الرقى والاكتمال بحسب ما يكتسبه من المعارف المتجددة والتجارب المتكررة المتعددة)[142].

وهنا يبدو حسن البنّا متأثراً بأفكار الإمام محمد عبده حول التطور الإنساني، وتبدو كلماته حول تطور العقل صياغة جديدة لما قاله الإمام في "رسالة التوحيد"*. حيث رسم البنا ثلاثة أطوار للعقل البشري هي: (طور الخرافة) والبساطة والتسليم المطلق للغيب المجهول والقوى الخفية فهو ينسب إليها كل شيء ويفسر بها كل شيء. و (طور الجهود المادية) والتنكر لهذا الغيب المجهول، ومحاولة تفسير مظاهر الكون جميعاً تفسيراً مادياً صرفاً وفق قوانين تجريبية اهتدى إليها الإنسان بطول تجاربه ودوام بحثه وتفكيره، وكثيراً ما طغى هذا التفكير على العقل الإنساني في هذه العصور الحديثة. ثم (طور الكمال) وهو ما جاء به الإسلام ليفصل بين الطورين السابقين، من خلال وصفه العالم الغيبي المجهول وصفاً يقربه إلى الأذهان ولا يتنافى مع بديهيات العقول. وهو مع هذا يقرر فضل هذا العالم المادي وما فيه من خير للناس ويدعو إلى النظر السليم في ملكوت السموات والأرض. وهذا اللون من ألوان التفكير هو أكمل مراحل العقل البشري وأكثرها انطباقاً على واقع الحياة

---

(141) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص359.

(142) المرجع السابق، ص360.

(*) يقول الإمام محمد عبده: (وكما جرت سنته وهو رب العالمين بالتدريج في تربية الأشخاص من خارج بطن أمه لا يعلم شيئاً إلى راشد في عقله، كامل في نشأته يمزق الحجب بفكره ويواصل أسرار الكون بنظره، كذلك لم تختلف سنته ولم يضطرب هديه في تربية الأمم، فلم يكن من شأن الإنسان في جملته ونوعه أن يكون في مرتبة واحدة من العلم وقبول الخطاب من يوم خلقه الله إلى يوم يبلغ به الكمال منتهاه، بل سبق القضاء بأن يكون شأن جملته في النمو قائماً على ما قررته الفطرة الإلهية في شأن أفراده).

انظر: عبده، محمد. **رسالة التوحيد**، مرجع سابق، ص145.

ومنطق الكون، وذلك هو الجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل[143]. ونظراً لإيمان حسن البنّا بفكرة "الدورة الحضارية"، فقد رأى أن هذا التطور لا يسير في اتجاه خطي مستقيم، بل يسير في صورة متذبذبة[144]. وفي هذا السياق جاء تفسيره لانتصار الحضارة الغربية بمبادئها المادية، في صراعها الاجتماعي والثقافي على الحضارة الإسلامية.

3 - آليات التغير الاجتماعي

حاول الشيخ البنا أن يستخلص الخطوات المنهجية السليمة في التعامل مع القوانين الحاكمة للتغير الاجتماعي بهدف الاستفادة منها في تحديد أسس النهضة الإسلامية. حيث يقول: (لا تصادموا نواميس الكون فإنها غالبة، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر...)[145]. مما يوضح ثقة البنا في القدرة الإنسانية، وتأكيده على إمكانية التحكم في مسار التغير واتجاهه. وبذلك طرح عدة عناصر اعتبرها أهم القواعد المنهجية للعمل الحركي الدافع لعملية التغيير من أجل التقدم.

أولى هذه القواعد التي طرحها الشيخ البنا هي تحديد سبل التجديد، واستعان البنا بقوانين التغير الاجتماعي في تحديد تلك السبل التي شكلت شروطاً للنهضة في تصوره، حيث عبر عن قضية التغيير والتجدد كسنة من سنن الله في تربية الأمم وبنائها[146]*. وانطلق من تلك القاعدة ليحدد أربع خطوات رئيسة هي سبل التجدد والنهضة، مؤكداً أن (الأمة تقوى إذا حددت غايتها وعرفت مثلها الأعلى، ورسمت منهاجها، وصممت على الوصول إلى

---

(143) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، "دعوتنا في طور جديد"، مرجع سابق، ص227-228.

(144) المرجع السابق، ص228.

(145) المرجع السابق، رسالة "المؤتمر الخامس"، ص127.

(146) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص222-223.

(*) لدعم رؤيته حول فكرة التداول ذكر البنا قول الله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: 214].

الغاية وتنفيذ المنهاج ومحاكاة المثل مهما كلفها ذلك من تضحيات)[147].

وعلى ذلك حدد حسن البنا سبل النهضة في عدة خطوات: **الخطوة الأولى** (تحديد الغاية)، إذ رأى أن القرآن الكريم حدد غايات الحياة ومقاصد الناس فيها، فبين أن قوماً همهم من الحياة الأكل والمتعة، وآخرين شأنهم في الحياة إيقاد الفتن وإحياء الشرور والمفاسد. وتلك مقاصد نزه الله المؤمنين عنها، فكانت غايتهم هداية البشر على الحق وإرشاد الناس جميعاً إلى الخير وإنارة العالم كله بشمس الإسلام[148]. وبما أن الغاية هي التي تدفع إلى الطريق، حسبما أشار البنا، لذلك استنتج أن من أسباب تخلف الأمة غموض الغاية واضطرابها[149]. وطبقاً لسنن التغيير، رأى البنا ضرورة كشف هذا الغموض بتحديد الغاية العليا لمشروع النهضة الإسلامية بقوله: (دعوت قومي إلى أن يختاروا... فيقيموا دعائم حياتنا الاجتماعية في كل مظاهرها على قواعد الإسلام الحنيف، وبذلك يسلم مجتمعنا من هذا القلق والاضطراب والبلبلة التي شملت كل شيء والتي وقفت بها عن كل تقدم...)[150].

وعلى ذلك حذر البنا من اندفاع الشعوب الشرقية الإسلامية في تيار التقليد، فترفع نهضاتها بتلك النظم البالية التي أثبتت التجربة فسادها وعدم صلاحيتها[151]. مؤكداً أن غاية التغيير يجب أن تنبثق من أحكام القرآن الكريم إذ (جاء الإسلام الحنيف نظاماً اجتماعياً كاملاً يقوم على مخاطبة الفطرة الإنسانية واستثارة ما فيها من قوى روحية تمثل عقائد ثابتة، وخلائق فاضلة وأفكاراً عالية وأعمالاً نافعة تنظم ملكات الفرد، وحياة الأسرة وطبقات الأمة وواجبات الدولة وعوامل الاتصال والأخوة بين العالمين)[152]. ووفقاً لذلك

---

(147) المرجع السابق، ص224.

(148) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "إلى أي شيء ندعو الناس"، مرجع سابق، ص34.

(149) المرجع السابق، ص35.

(150) المرجع السابق، رسالة "مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي"، ص304.

(151) حسن البنّا. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص200.

(152) حسن البنّا. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "إلى أي شيء ندعو الناس"، مرجع سابق، ص53.

حدد البنا مهمتين للإسلام في الوجود: **الأولى** صياغة الأفراد صياغة إنسانية جديدة، أساسها الصلة بالله، وإبراز خصائص الإنسان العليا والسمو ببدنه وعقله ووجدانه، **والأخرى** صياغة المجتمعات البشرية صياغة إنسانية عالمية جديدة بتأليف بناء متماسك قائم ومجتمع موحد فاضل[153]. ورأى أن غاية التغيير والنهضة يجب أن تتفق مع تلك المهمة الإسلامية التي تعنى بصياغة الأفراد والمجتمعات. وذلك يعنى أنه نظر إلى التغير الاجتماعي من منظور تنموي لا يقف عند حدود مواجهة الثالوث التقليدي (الفقر والجهل والمرض) فحسب، ولكنه يصبو إلى غاية عليا تتجاوز ذلك إلى بناء الإنسان ونشر قيم الإنسانية حيث يقول: (مشكلة الدنيا اليوم ليست مشكلة مادية بقدر ما هي مشكلة روحية. ليست مشكلة الفقر أو المرض والجهل بقدر ما هي مشكلة الظلم والطمع والقوة وفقدان العدالة والرحمة والإنصاف)[154]. وبذلك حدد البنا أهدافاً فرعية للإصلاح ولتحقيق الغاية الكلية، من أبرزها إصلاح مظهر الاجتماع وتنظيم التعليم والدعوة إلى الوحدة الإسلامية القائمة على الإنسانية[155].

أما الخطوة الثانية في سبيل التجديد فتمثلت في (تحديد المثل الأعلى)، واعتبر البنا أن تحديد المثل الأعلى يشكل أحد الأركان الثلاثة للنهضة بوصفه أساس القوة الروحية[156]. وينظر البنا إلى المثل الأعلى من جهتين: **الأولى** من خلال رؤية تاريخية، و**الأخرى** من خلال رؤية واقعية ترتبط باختيار قادة النهضة، وفي هذا الإطار رأى البنا ضرورة الاسترشاد بالعبرة التاريخية، والاسترشاد بنماذج الأمم الناهضة التي اقتدت بمثل عليا يجب الاهتداء بها، وفي سياق رؤيته لحركة التاريخ يقول البنا: (حدثنا التاريخ أن الصبر والثبات والحكمة والأناة وصلت بهذه النهضات الضعيفة النشأة القليلة الوسائل إلى

---

(153) المرجع السابق، رسالة "إلى أي شيء ندعو الناس"، ص48.

(154) البنّا، حسن. **حديث الثلاثاء**، مرجع سابق، ص459.

(155) البنّا، حسن. **خطب الجمعة للإمام الشهيد حسن البنّا**، بنها: دار الحكمة، ج1، 1999م، ص47.

(156) المرجع السابق، ص10.

ذروة ما يرجو القائمون بها من توفيق ونجاح)[157].

وحينما استعرض البنا أهم مشكلات المجتمع الحديث، رأى أن أبرزها غياب المثل العليا، حيث يقول: (لقد اختفت المثل العليا تمام الاختفاء، وغابت عن الأنظار والقلوب تلك الأهداف الجميلة التي نادى بها هؤلاء الناس ساعة العسرة. وجندوا باسمها قوى الأمم ضد الظلم والطغيان... ولم تعد لهؤلاء الساسة الزعماء فلسفة راقية يقودون بتوجيهها العالم إلا فلسفة المصالح المادية والمطامع الاستعمارية...)[158]. وقد بين البنا أن اختيار الرجال الذين يعتنقون مثلاً عليا رفيعة أحد المتطلبات الأساسية لقيادة الأمة نحو التقدم وتوجيه حركة التغيير سياسياً واجتماعياً، وهؤلاء الرجال، كما يرى، هم "أهل الحل والعقد" الذين يمثلون الأمة ويعبرون عن رأيها، وهم الذين يجب أن يُستشاروا في قضايا الأمة ويبتون فيها. واستناداً إلى أقوال الفقهاء حدد البنا ثلاث فئات اعتبرهم يمثلون أهل الحل والعقد وهم: الفقهاء المجتهدون الذين يُعتمد على أقوالهم في الفُتيا واستنباط الأحكام، وأهل الخبرة في الشؤون العامة، والقادة والرؤساء كزعماء البيوت والأسر وشيوخ القبائل ورؤساء المجموعات[159].

وتمثلت **الخطوة الثالثة** في رسم المنهاج (التخطيط) فقد رسم الشيخ حسن البنّا منهاجاً إسلامياً يعتمد على رصد الواقع الاجتماعي والسياسي ويحدد مراحل العمل من أجل تغيير هذا الواقع. مؤمناً بضرورة التدرج في تنفيذ عملية التغيير. وفي ذلك يقول البنا: (أنت إذا راجعت تاريخ النهضات في الأمم المختلفة شرقية أو غربية، قديماً أو حديثاً، رأيت أن القائمين بكل نهضة موفقة نجحت وأثمرت كان لهم منهاج محدد عليه يعملون، وهدف محدد إليه يقصدون... وضعه الداعون إلى النهوض وعملوا على تحقيقه ما امتد بهم

(157) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "إلى أي شيء ندعو الناس"، مرجع سابق، ص48-51.

(158) البنّا، حسن. **مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي**، مرجع سابق، ص299.

(159) المرجع السابق، ص328.

الأجل وأمكنهم العمل)[160]. وعلى ذلك حدد البنا عنصرين مهمين يجب توافرهما في هذا المنهاج هما: "التواصل" و"التتابع". فتواصل الجهود عبر الأجيال وتتابع البناء خلال مراحل زمنية يعد عاملاً مهماً في نجاح جهود النهضة[161]. ونظر البنا إلى تحديد المنهاج باعتباره قانوناً للتغيير، حيث يعتقد أن (كل انقلاب تاريخي وكل نهضة في أمة تسير طبق هذا القانون... حتى النهضات الدينية التي يرأسها الأنبياء، إلا أن هذه النهضات يرسم منهاجها الحق تبارك وتعالى ويهدى الرسول ومن ورائه قومه ويرشدهم إلى خطوات المنهج خطوة خطوة، كل خطوة في وقتها المناسب، ويؤيدها في كل ذلك بنصره... فتكون النهضة موفقة لا محالة...)[162].

على هذا الأساس تبلورت فكرة التخطيط المرحلي عند البنا حيث يقول: (وأما التدرج والاعتماد على التربية ووضوح الخطوات في طريق الإخوان المسلمين، فذلك أنهم اعتقدوا أن كل دعوة لابد لها من مراحل ثلاث: مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وإيصالها إلى الجماهير من طبقات الشعب، ثم مرحلة التكوين وتخير الأنصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف بين هؤلاء المدعوين، ثم بعد ذلك كله مرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج. وكثيراً ما تسير هذه المراحل جنباً إلى جنب نظراً لوحدة الارتباط وقوّته بينها جميعاً، فالداعي يدعو وهو في الوقت نفسه يتخير ويربى، وهو في الوقت عينه يعمل وينفذ كذلك)[163]. ذلك يعنى أن المراحل عند البنا قد تتداخل زمنياً، وأن التخطيط يتم متزامناً مع التنفيذ، إلا أن البنا قد أولى مسألة الزمن أهمية خاصة، فاختيار التوقيت المناسب لكل مرحلة والاستفادة من الفرص السانحة أحد مقومات المنهاج الناجح، وعلى ذلك اتخذ البنا من مقولة "الزمن جزء من العلاج" قاعدة يتوارثها الإخوان. حيث يقول: (الزمن جزء من علاج الفرد

(160) المرجع السابق، رسالة "هل نحن قوم عمليون"، ص88.
(161) المرجع السابق، ص88.
(162) المرجع السابق، ص89.
(163) المرجع السابق، رسالة "المؤتمر الخامس"، ص 125-126.

والنفس والبدن والمجتمع... وفي كل ناحية من نواحي الحياة)[164]. ولتأكيد هذه الفكرة يستعير البنا قول الإمام محمد عبده (الفرص لا نخلقها ولكن لا نضيعها)، موضحاً أن الفرص والظروف بيد الله تعالى، يوجهها كيف يشاء[165]. وتأسيساً على القاعدة السابقة رفض البنا دعوة بعض المتحمسين المتعجلين باختصار بعض الخطوات للوصول إلى الغاية النهائية سريعاً قائلاً: (فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها... فلست معه في ذلك بحال)[166].

وأخيراً حدد الشيخ حسن البنّا **الخطوة الرابعة** في (الإعداد والعُدة)، فقد ذهب إلى أن تحقيق المنهاج يحتاج إلى إعداد وعدة، ومن ثم حدد عُدة الإخوان المسلمين الأولى في "الإيمان"، حيث خاطب أتباعه قائلاً إن الإيمان (هو السلاح الذي سنحمله لنغزوا به العالم من جديد)[167]. أما العدة الثانية فقد حددها في "الجهاد"، ويقول في ذلك: (إن الذين فتحوا أقطار الدنيا، ومكن الله لهم في الأرض من أسلافنا لم يكونوا أكثر عدداً ولا أعظم عُدة؛ ولكنهم مؤمنون مجاهدون)[168]. والإعداد الذي نادى به البنا يهدف إلى إكساب الأمة القوة المعنوية، والقوة المادية. وعدة الأمة لامتلاك القوة المعنوية كما يرى البنا، تتطلب من الأمة أن (تحتمل التضحيات وتصبر على المشاق في كفاحها ونضالها وأن تستروح روح النصر بالصلاة)[169]. وإذا ما امتلكت الأمة القوة المعنوية أمكنها الإعداد للقوة المادية التي تعد الركن الثالث من أركان النهضة. حيث يعتقد البنا أنه (إذا قويت روح الأمة وأخلاقها، تبع ذلك حتماً دوام التفكير في وسائل القوة المادية، وتلا ذلك

---

(164) البنّا، حسن. **حديث الثلاثاء**، مرجع سابق، ص380.

(165) المرجع السابق، ص380.

(166) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة" المؤتمر الخامس"، مرجع سابق، ص127.

(167) المرجع السابق، رسالة" الإخوان المسلمون تحت راية القرآن"، ص193.

(168) المرجع السابق، ص195.

(169) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص201.

التفكير في القوة نفسها، وإلى هذا يشير القرآن في نظامه الحكيم الذي وضع لحياة الأمم ونهوضها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرّعد: 11] إلى جانب قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفَال: 60])[170].

وعلى ذلك، أولى البنا إعداد الفرد وتربيته عناية جيدة، فاهتمت جماعة الإخوان بإعداد الفرد روحياً وخلقياً وعقلياً ودينياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً[171]. وكان اهتمامه البالغ بعملية الإعداد واضحاً في رسالته "المنهج الثقافي" والتي استهدفت إعداد الإخوان إعداداً يؤهلهم لأن يكونوا دعاة منتجين يحملون أعباء الدعوة، وتوجيه الإخوان ثقافياً وإكمال النقص العلمي، وتقوية المواهب والاستعدادات الفطرية في نواحي الإنتاج المختلفة اللازمة للنهوض[172]. وقد اتبع البنا عدة وسائل لإعداد الإخوان المسلمين وتعبئتهم، موضحاً أن تلك الخطوة تمثل المرحلة الثانية من مراحل عمل الجماعة بعد الدعوة الفكرية ونشرها بين الجماهير من طبقات الشعب، أما الخطوة الثالثة فكانت الخطوة التنفيذية العملية والتي قصد بها البنا "الجهاد"[173]. وظهرت وسائل الإعداد في هذه الخطوة على ثلاث صور عملية أنشأها البنا وهي: الكتائب وفرق الكشافة ودرس التعاليم* في الكتائب أو في أندية الإخوان المسلمين، وشكلت تلك النظم وسائل عملية لتقوية

---

(170) المرجع السابق، ص199.

(171) محمود، علي عبد الحليم. **في فقه الإصلاح والتجديد عند الإمام حسن البنّا" ركن الإخلاص في مجالات العمل الإسلامي"**، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، 1994م، ص15.

(172) المرجع السابق، ص54.

(173) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة" المؤتمر الخامس"، مرجع سابق، ص126-128.

(*) أراد البنا من إنشاء الكتائب تقوية الصف بالتعارف ونماذج النفوس والأرواح ومقاومة العادات والمألوفات، أما فرق الكشافة فأراد بها تقوية الصف بتنمية الأبدان بالرياضة والتعود على الطاعة والنظام والإعداد على الجندية، كما أراد من درس التعاليم تقوية الصف بتنمية أفكار الإخوان وعقولهم بدراسة جامعة لأهم ما يلزم المسلم معرفته لدينه ودنياه. انظر: المرجع السابق، ص126.

وإعداد الفرد المسلم في الجوانب الاجتماعية والبدنية والثقافية[174]. ويبدو واضحاً أن البنا قد ركز اهتمامه على هذه الجوانب الثلاثة لكي يتمكن من تحقيق هـدفه الرئيس ـ الذي كان يتطلع إليه، وهو تأهيل الرجال ليكونوا قادرين على تحمل أعباء مشروع النهضة الإسلامية من أجل تغيير النظام الاجتماعي على أسس إسلامية. كما يتضح أن السبل التي حددها البنا لإعداد الإخوان ارتبطت بالعمل الحركي التنظيمي من أجل التغيير.

لا يكتفي الشيخ حسن البنّا بتوضيح الخطوات والشروط اللازمة لدفع حركة التغيير، إنما شغلته أيضا قضية أخرى ذات أهمية بالغة في دفع حركة التغيير الاجتماعي، وتلك هي (قضية متطلبات التغيير)، فقد كان البنا يؤمن بأن نجاح العمل الحركي التنظيمي الساعي إلى التغيير يحتاج إلى متطلبات محددة تحرك التغيير وتدفعه إلى الأمام. ومن ثم حدد ثلاثة شروط أساسية للتغيير هي: استقلالية التفكير والوحدة وتآخى العلم والدين، إذ آمن البنا بأهمية تحقيق هذه الشروط، كما أدرك أنها لن تتحقق تلقائياً، بل بجهد المصلحين ودعاة النهضة. مما يؤكد إيمانه بأهمية المسؤولية الفردية في التغيير. كما يوضح مدى إدراكه للمسؤولية الاجتماعية للأمة من أجل النهضة. وفيما يلي عرض لرؤية البنا حول هذه الشروط الثلاثة:

الشرط الأول للتغيير الاجتماعي كما حدده حسن البنّا تمثل في (استقلالية التفكير)، إذ رأى البنا ضرورة اليقظة الروحية العملية سبيلاً لنهضة لأمة، مؤكداً أن ذلك لا يكفى وحده لما تصبو إليه الأمة،إنما يحتاج الأمر إلى أن تسود الفكرة الإسلامية حتى تؤثر في كل أوضاع المجتمع وتصبغها بصبغة الإسلام. وعلى الأمة إذا أرادت النهضة أن تفكر تفكيراً استقلالياً يعتمد على أساس الإسلام الحنيف، وألا تتقيد بنظريات الغرب واتجاهاته في كل شيء، وعليها أن تتميز بمقوماتها ومشخصات حياتها باعتبارها أمة عظيمة[175]. ومن هنا جعل البنا أحد واجبات الإخوان المجاهدين أن يعملوا على إعادة الكيان

(174) المرجع السابق، ص126.

(175) المرجع السابق، رسالة "دعوتنا في طور جديد"، ص237.

الدولي للأمة الإسلامية، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافتها وجمع كلمتها، حتى يؤدى ذلك إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة[176]. وبهذا ربط البنا بين الاستقلال الفكري والاستقلال السياسي، واعتبرهما الأساس الذي تقوم عليه وحدة الأمة.

أما الشرط الثاني من شروط التغيير من وجهة نظر حسن البنّا فيتمثل في (الوحدة الإسلامية)، حيث شكلت قضية الوحدة الإسلامية في تصوره قاعدة أساسية للإصلاح، فالحضارة الإسلامية قامت على الوحدة، ولذلك يجب أن نتمسك بها أساساً للنهضة، واستند البنا إلى قول الرسول ﷺ: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، وعليه حدد وسائل الإصلاح وخطواته، مستلهماً الطرق والوسائل التي استخدمها الرسول وصحابته لبناء الحضارة الإسلامية ونشرها. ومن هنا ناشد أتباعه بقوله: (نود أن تتوحد وجهة الأنظار والهمم حتى يكون العمل أجدى والإنتاج أعظم وأكبر)[177].

تضمنت فكرة البنا عن الوحدة الإسلامية بعدين: **الأول** يتعلق بالوحدة الدينية، **والآخر** بالوحدة السياسية. وقد نادى حسن البنّا بضرورة الوحدة الدينية، إلا أنه كان يقر الخلاف الفقهي في فروع الدين، نظراً لاختلاف العقول في قوة الاستنباط أو ضعفه، وكذلك بسبب سعة العلم وضيقه، واختلاف البيئات حتى أن التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة[178]. ولكنه رفض التعصب والتحيز للآراء والأفكار التي لا تجتمع عليها القلوب، ولا تنبني معها الوحدة المنشودة التي لا تتحقق بدونها غاية[179]. وعلى ذلك يصرح أن (منهاج الإخوان أمام مخالفيهم في المسائل الفرعية في دين الله... أنهم يجيزون الخلاف ويكرهون التعصب للرأي ويحاولون الوصول إلى الحق ويحملون الناس على ذلك بألطف وسائل اللين والحب)[180].

---

(176) المرجع السابق، رسالة "دعوتنا"، ص25.

(177) المرجع السابق، ص 25.

(178) المرجع السابق، ص25-26

(179) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص71.

(180) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "دعوتنا"، مرجع السابق، ص27.

وقد شكل مفهوم الوحدة الإسلامية أحد أركان عقيدة الإخوان التي سجلها الشيخ البنا بقوله: (اعتقد أن المسلمين جميعاً أمة واحدة تربطها العقيدة الإسلامية، وأن الإسلام يأمر أبناءه بالإحسان إلى الناس جميعاً، وأتعهد بأن أبذل جهدي في توثيق رابطة الإخاء بين المسلمين وإزالة الجفاء والاختلاف بين طوائفهم وفرقهم)[181]*. ودعا البنا إلى نبذ المسائل الخلافية بين المسلمين، وسعى إلى جمع المسلمين وتوحيدهم طبقاً لقناعته بأن "اجتماع الآراء على خلاف الأولى أفضل من افتراقها وتشتيت الكلمة على ما هو أفضل"[182]. وفي سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية أراد البنا تطوير فكرة "الجامعة الإسلامية" التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني، وذلك بتكوين "عصبة الأمم الإسلامية" التي تتطلب أولاً التعاون الثقافي والاجتماعي والاقتصادي بين الشعوب الإسلامية، ثم يلي ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المؤتمرات، ثم يلي ذلك تكوين عصبة الأمم الإسلامية، حتى إذا تم ذلك نتج عنه الاجتماع على الإمام[183]. ومن ثم تتحقق الوحدة

---

(181) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص197.

(*) ترجم البنا هذه الأفكار إلى واقع عملي من خلال المساهمة في تكوين جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية، والتقى بالإمام الشيعي الإيراني "نواب صفوي" عام 1945م بالقاهرة. ثم التقى المرجع الشيعي" آية الله الكاشاني أثناء الحج عام 1948م من أجل إزالة الخلاف بين الشيعة والسنة. وهناك عدد من الروايات تذكر أن البنا أقام علاقة قوية مع الشيعة الزيدية في اليمن في فترة مبكرة من تأسيس الجماعة، من خلال صلته بالسيد محمد زبارة أمير القصر السعيد، وهناك من يذكر أن الصلة بين الإخوان وعناصر من اليمن، نشأت عام 1939 خلال المؤتمر البرلماني العالمي لقضية فلسطين، وأوفد الإخوان مع أبناء الإمام يحيى سكرتيراً لهم من الإخوان.
انظر: الورداني، صالح. **عقائد السنة وعقائد الشيعة**. القاهرة: مدبولي الصغير، ط1، 1995م، ص220.
- قاسم، عبد الكريم. **نشأة وتطور الحركة الأصولية في اليمن**، (في) ندوة الأصوليات الدينية وحوار الحضارات، مرجع سابق، ص12.

(182) المرجع السابق، ص123.

(183) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "المؤتمر الخامس"، مرجع سابق، ص145.

الإسلامية في إطار الخلافة التي اعتبرها رمزاً للوحدة الإسلامية[184].

وحدد البنا **الشرط الثالث** للتغيير في (تآخي العلم والدين)، فقد كان يؤمن بأن أفعل الوسائل في إصلاح الأمم هي الدين، وعارض أي طريق آخر للإصلاح قائلاً: (رأى قوم أن يصلحوا من أخلاق الأمم عن طريق العلم والثقافة، ورأى آخرون أن يصلحوه عن طريق الأدب والفن، ورأى غيرهم أن يكون هذا الإصلاح عن طريق أساليب السياسة، وسلك غير هؤلاء طريق الرياضة. كل أولئك أصابوا في تحديد معاني هذه الألفاظ أو أخطأوا وسددوا أو تباعدوا... إن دين الإسلام جمع محاسن كل هذه الوسائل وبعد عن مساوئها)[185].

وعلى ذلك قرر البنا أن الإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر في الكون ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح النافع من كل شيء، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها[186]. ولما كان البنا يؤمن بأن العلم لا يناقض الدين، (بل أن معرفة الكون هي الوسيلة الصحيحة لمعرفة الله في نظر الإسلام... والعلم الطبيعي لا ينافى الدين، ولكن الذي ينافى الدين هو ترك هذا العلم)[187]. فقد احتج على الذين تصوروا أن العلم يناقض الدين بقول "هربرت سبنسر": (العلم يناقض الخرافات ولكن لا يناقض الدين نفسه)[188]. ومن ثم يقرر البنا بأنه (لن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة، ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي، فإن كان ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالإتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار)[189]. وينتهي البنا في هذه القضية إلى أن الإسلام قد (ربط بين القلب المؤمن والعقل المفكر وآخى بذلك بين الدين والعلم، ووفق بين الإنسان والطبيعة وبين الفرد والبيئة)[190]. مشيراً

---

(184) المرجع السابق، ص144.
(185) المرجع السابق، رسالة "هل نحن قوم عمليون"، ص73
(186) المرجع السابق، رسالة "التعاليم"، ص358.
(187) البنّا، حسن، **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص386.
(188) المرجع السابق، ص386.
(189) البنّا، حسن، **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "التعاليم"، مرجع سابق، ص359.
(190) البنّا، حسن، **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص387.

إلى موافقة القرآن الكريم للعقل والمنطق وغزارة ما فيه من العلم والمعرفة، وصحة ما أشار إليه من نظم الحياة وقواعد الاجتماع[191].

وبهذا اتفقت رؤية البنا مع تصور الإمام محمد عبده حول العلاقة بين الشرع والعقل، حيث نظر إلى العقل باعتباره أحد وسائل هداية الإنسان بالإضافة للوجدان والإلهام الفطري والحواس والمشاعر، كما أن الدين والإرشاد الإلهي أيضاً وسيلة لهداية الإنسان[192]. ومن هنا يذهب البنا إلى أنه (كما تحتاج الأمة الناهضة إلى القوة تحتاج إلى العلم الذي يؤازر القوة ويوجهها أفضل توجيه... والإسلام يجعل العلم فريضة كالقوة تماماً، ولم يفرق القرآن بين علم الدنيا وعلم الدين، بل أوصى بهما جميعاً)[193]. واستناداً إلى كل هذا وافقت رؤية الشيخ البنا دعوة الإمام محمد عبده إلى اقتباس العلم الغربي التطبيقي، مشدداً على أهمية الانتقاء فيما لا يخالف الشرع حيث يقول: (إن لكل عصر وجهين: جميل وقبيح، ومن الغبن أن نترك جمال العصر "العلم العملي" لقبحه "التحلل والإلحاد والإباحية... إلخ"، ومن الخطأ أن نتهاون في قبحه لجماله، بل نقف موقف الناقد البصير الذي يأخذ الطيب وينفي الخبيث)[194].

يتضح مما سبق أن مناقشة حسن البنّا لآليات التغير الاجتماعي دارت حول مجموعة من القضايا المهمة التي كشفت عن القواعد المنهجية اللازمة لحركة التغيير الاجتماعي، وعن الشروط الضرورية لنجاح هذه الحركة، وعلى أساس تلك الشروط والقواعد طرح البنا رؤيته حول (وسائل التغيير الاجتماعي)، واعتمد البنا على وسيلتين للتغير الاجتماعي، هما التربية والثورة، باعتبار أن التربية هي الوسيلة الأولى للإصلاح وعلاج النفس الإنسانية. حيث رأى أن

---

(191) المرجع السابق، ص 164.

(192) المرجع السابق، ص147.

(193) البنّا، حسن، مقال بعنوان "**إلى الأمة الناهضة**"، نقلاً عن "إبراهيم البيومي غانم"، مرجع سابق، ص188.

(194) البنّا، حسن، حديث مع "فريد وجدي"، **مجلة الفتح**، 8 أغسطس 1929م، المرجع السابق، ص189.

(الإسلام عالج مشاكل المجتمعات فجعل الوقاية مما يؤدى إليها أولاً، واستئصال ما عساه أن يحدث ثانياً، والدواء الأول في كل علاج صلاح النفوس والتضامن الاجتماعي بين بنى الإنسان)[195]. أما الثورة فهي الوسيلة الثانية التي تلي مرحلياً التربية، وقد كان البنا يؤمن أن (الدعوة في حقيقة أمرها ليست إلا خروجاً عن المألوفات وتغييراً للعادات والأوضاع، ومن هنا رأى ضرورة تنوع وسائل الدعوة، فمنها السلبي ومنها الإيجابي، ومنها ما فيه لين ومنها ما فيه شدة، ومنها ما يخالف العادات والمألوفات[196]. وبذلك زاوج البنا بين التربية والثورة الاجتماعية وعدّهما وسيلتين متكاملتين للتغير لا غنى عنهما من أجل نهضة الأمة.

أ - التربية وسيلة للتغيير الاجتماعي

ناقش الشيخ حسن البنّا قضية الحياة وماهية الإنسان في إطار رؤية دينية تكرم الإنسانية، وترقى بغاية الإنسان في الوجود[197]. فالإنسان كما يصفه البنا لطيفة ربانية ونفخة قدسية وروح من أمر الله فضله على كثير من خلقه وحمله الأمانة وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً[198]. واعتبر البنا أن بناء الإنسان هو أساس بناء الأمم، حيث آمن أن الأمم المجاهدة التي تواجه نهضة جديدة وتسعى نحو التغيير (في مسيس حاجة إلى بناء النفوس وتشييد الأخلاق وطبع أبنائها على خلق الرجولة الصحيحة...)[199]. ومن ثم أوضح أن الإسلام عنى بعلاج النفس الإنسانية عناية تامة لأنها مصدر النظم ومادة التفكير والتصور والتشكل... ولهذا كانت طبيعة الإسلام تساير العصور والأمم، وتتسع لكل الأغراض والمطالب، ولهذا أيضاً كان الإسلام لا يأبى

---

(195) البنّا، حسن، **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "دعوتنا في طور جديد"، مرجع سابق، ص237.

(196) المرجع السابق، رسالة "بين الأمس واليوم"، ص108.

(197) البنّا، حسن. **خطب الجمعة للإمام الشهيد حسن البنّا**، مرجع سابق، ص2.

(198) المرجع السابق، ص1.

(199) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "هل نحن قوم عمليون"، مرجع سابق، ص68.

أبداً الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامة[200].

ذلك يعنى أن الشيخ البنا كان يؤمن بأن الإنسان هو صانع الحضارة ومؤسس النظام الاجتماعي، وعليه فإن الإنسان الذي أُعطي حق الاختيار في تشكيل عالمه، يجب أن يُعد لتحمل تلك المسؤولية. إذ يشير البنا إلى أن (أعظم مظاهر القوة في الإنسان أن يتغلب على ما يحيط به، وأن يُخضع الصعاب لإرادته، وإذا وصلت الأمة إلى هذا الحد فلم تتأثر بالحوادث ولم تبال بالعقبات كان عندها من المناعة الطبيعية ما يحول بينها وبين تسرب الوهن إليها، كانت خليقة بأن ترث الأرض وتسود الدنيا وتحسن الخلافة في الكون*[201].

وكان البنا يؤمن بأن امتلاك الأمة لهذه القوة يتطلب إعداداً وتربية[202]. ولذلك ذهب إلى أن التربية العملية يجب أن تكون قرينة الدروس النظرية وتطبيقاً لها في برامج التعليم، وأن التربية السليمة الصحيحة الواعية هي التي تجلى روعة هذا الدين في واقع الحياة[203]. ومن أجل ذلك رأى أن أحد أهداف الإخوان المسلمين (تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح، يعمل عل صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة في كل مظاهر حياتها... وأن وسيلتهم في ذلك تنحصر في تغيير العرف العام وتربية أنصار الدعوة على هذه التعاليم حتى يكونوا قدوة لغيرهم في التمسك بها والحرص

---

(200) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "بين الأمس واليوم"، مرجع سابق، ص121.

(*) يشير البنا إلى التدريبات الربانية التي تنشئ في الأمة هذه المناعة وتطبعها بطابع القوة الحقيقية، وتلك التربية الإلهية المتمثلة فى" الابتلاء" أو الاختبار الذي يبتلى به الله الناس، ويستشهد بقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 155].

(201) المرجع السابق، ص203.

(202) المرجع السابق، ص203.

(203) التلمساني. **الملهم الموهوب أستاذ الجيل**، مرجع سابق، ص50.

عليها)[204]. وبهذا اعتبر البنا الإخوان مدرسة لتربية الكوادر التي تحمل مسؤولية التربية الاجتماعية التي ترمى إلى غاية أسمى هي "تربية الأمة" على النفس الفاضلة والخلق النبيل السام، وإيقاظ ذلك الشعور الحي الذي يسوق الأمم إلى الزود عن كرامتها والجد في استرداد مجدها وتحمل كل عنت ومشقة في سبيل الوصول إلى الغاية[205]. ورأى أن الشباب المثقف مكلف بالإسهام في هذه المسؤولية، ولذا دعاهم إلى المشاركة قائلاً: (إنكم دعاة تربية وعماد انتصاركم إفهام هذا الشعب وإقناعه وإيقاظ شعوره من كل نواحيه على قواعد الإسلام وتعاليم الإسلام ومبادئ الإسلام)[206].

ولئن كان الشيخ حسن البنّا قد ركز على الجانب الاجتماعي للتربية، فإنه لم يهمل التربية السياسية، فقد آمن بضرورة توعية الجماهير بحقوقها السياسية وإعداد الشعب نظرياً وعملياً ليتمكن من المشاركة في نهضة الأمة وإصلاح المجتمع. وعبر البنا عن هذه الغاية قائلاً: (يجب أن تكون دعامة النهضة (التربية) فتربى الأمة أولاً وتفهم حقوقها تماماً وتتعلم الوسائل التي تنال بها هذه الحقوق، وتربى على الإيمان بها ويبث في نفسها هذا الإيمان بقوة أو بعبارة أخرى تدرس منهاج نهضتها درساً نظرياً وعملياً وروحياً)[207].

وعلى هذا تتجه التربية عند البنا نحو أفراد المجتمع جميعاً بكل شرائحهم وانتماءاتهم، حيث يقول: (. . . يجب أن تعد البلاد التي تود النهضة مدرسة، طلبتها كل المواطنين وأساتذتها الزعماء وأهل العلم، وعلومها الحقوق والواجبات العامة أو الغاية والوسيلة، فليكن حجر الزاوية إصلاح خلق الأمة فلا نهوض لأمة بغير خلق)[208]. وهكذا حدد البنا أهداف التربية في عدة

---

(204) البنّا، حسن، **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "المؤتمر الخامس"، مرجع سابق، ص134.

(205) المرجع السابق، رسالة "هل نحن قوم عمليون"، ص70.

(206) البنّا، حسن، **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص267

(207) البنّا، حسن، مقال بعنوان "**في سبيل النهوض**"، نقلاً عن "فريد عبد الخالق"، الإخوان المسلمون في ميزان الحق، القاهرة: دار الصحوة للنشر، ط1، 1987م، ص187.

(208) المرجع السابق، ص 187.

محاور فردية واجتماعية وسياسية، ركزت على مجموعة من القيم هي العدل والمساواة والأخوة والتعاون، حيث ارتبط المنهج التربوي عنده بالتربية الإسلامية، مستمداً عناصرها من القرآن الكريم والسنة النبوية[209]. واعتبر البنا التربية وسيلة أساسية في عملية التغيير سواء على المستوى الفردي أو الأسري أو على مستوى المجتمع كله. وقدم تصوراً تفصيلياً لبرنامج إعادة التربية والإصلاح على أسس إسلامية بدءاً من المنزل ثم المدرسة ثم البيئة الاجتماعية[210]. وظل المنهج التربوي قاعدة لدعوة الإخوان المسلمين طوال عشر سنوات حتى قرر البنا الانتقال من مرحلة الدعوة الكلامية إلى مرحلة دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال[211]. حيث بدأت ملامح المشروع الثوري الجهادي تبرز وسيلة للتغيير التزمت بها الجماعة في نشاطها وممارساتها.

ب - الثورة وسيلة للتغير الاجتماعي

أكد الشيخ حسن البنّا على مبدأ (الثورة) مستمداً عناصرها من مرجعية قرآنية معبراً عن ذلك بقوله: (إن الإسلام في غايته ووسيلته ثورة كبرى تتضاءل دونها نظرياً وعملياً وتاريخياً آثار الثورة الفرنسية والثورة الروسية)[212]. وبذلك التقي البنا مع السيد جمال الدين الأفغاني في تأكيده على الثورة، ولئن كان الأفغاني قد ركز على الأبعاد السياسية للثورة، فإن البنا قد نظر إلى الثورة على انّه مفهوم شامل يعتمد على ثلاثة أركان: العلم، والتربية، والجهاد[213]. ولذلك صاغ دعوته صيغة جهادية تغييرية تقوم على ربط الفكر بالعمل، حيث يقول: (. . . قد جعل الله الجهاد فريضة وجعله ذروة سنام الإسلام. . . فقال

---

(209) لمزيد من التفاصيل: عبد الحافظ، محمد مصطفى محمد: (فلسفة المنهج التربوي بين حسن البنّا وأبي الأعلى المودودي)، ماجستير (غير منشورة)، الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1996م، ص399-405.

(210) خلف الله، أحمد ربيع عبد الحميد. **الفكر التربوي**، مرجع سابق، ص79-122.

(211) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص162-164.

(212) البنّا، حسن. نقلاً عن إبراهيم البيومي غانم، **الفكر السياسي للبنّا**، مرجع سابق، ص245.

(213) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص78.

تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحَجّ: 78])[214].

وتأسيساً على ذلك كانت الثورة عند البنا شكلاً من أشكال الجهاد. حيث أولى الجهاد اهتماماً بالغاً، وحرص على توضيح مراتبه، فرأى أن العاطفة الحية القوية التي تصبو إلى عز الإسلام ومجده أحد مراتب الجهاد، والاهتمام بأمر المسلمين جهاداً، كما أن التنازل عن بعض الوقت والمال من أجل خير الإسلام وأبنائه جهاداً، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة أحد مراتب الجهاد، أما أعلى مراتب الجهاد فهي القتال لاستعادة مجد الإسلام. وبين هذا وذاك رأى البنا أن "إصلاح شؤون الخلق" و"إقامة العدل" و"كلمة حق عند سلطان جائر" تعد كلها من مراتب الجهاد. فإذا لم يوفق المسلم إلى شيء من ذلك كله، فإن الجهاد كما يقول البنا: إن تحب المجاهدين من كل قلبك وتنصح لهم بمحض رأيك[215]. وبهذه الرؤية الشاملة للجهاد جعل البنا لكل مسلم غيور على الإسلام حظاً في الجهاد، كل مكلف بقدر استطاعته. ومن هنا يسر البنا مهمة انتشار الدعوة التي قادها وجعلها حركة جماهيرية فاعلة، وبذلك تجاوز الخلاف الفكري بين أصحاب الدعوة والتربية دون الكفاح السياسي، وبين أنصار النضال السياسي الحركي دون العمل التربوي. حيث أسس مشروعاً ينطلق من تكامل الجهود التربوية والجهاد السياسي السلمي[216].

وبالرغم من أن رؤية البنا للجهاد قائمة على فقه صحيح للجهاد ومكانته في العبادات الإسلامية، مثلما أثبت "علي عبد الحليم محمود"[217]. إلا أنها أثارت جدلاً واسعاً، حيث ثارت تساؤلات عديدة حول الأهداف السياسية لحركة الإخوان، واتهمت الجماعة بأنها انحرفت عن أهدافها الدينية والاجتماعية إلى أغراض سياسية ترمي إلى الوصول إلى الحكم وقلب النظام

---

(214) البنّا، حسن. **حديث الثلاثاء**، مرجع سابق، ص220.

(215) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "هل نحن قوم عمليون"، مرجع سابق، ص81-82.

(216) ابن علي، حسين بن محسن. **الطريق إلى جماعة المسلمين**، مرجع سابق، ص316.

(217) محمود، علي عبد الحليم، **في فقه الإصلاح والتجديد**، مرجع سابق، ص166-171.

القائم بالقوة[218]. كما رأى بعض منتقدي الحركة أن تأكيد البنا على مبدأ الجهاد قد جعل من الإخوان المسلمين "حركة فاشية"، ومن ثم اتجهت إلى إحداث تحول جذري في المجتمع[219]. بينما عارض آخرون هذا الرأي، فرأى "ميتشل هادسون" أن ذلك موضع شك من وجهة النظر الأكاديمية، فالإخوان لم يكونوا قوميين متعصبين يقدسون عنصراً أو أمة، وذلك خلافاً لأسلوب موسوليني وهتلر[220].

والحق أن البنا قد أقر القوة شعاراً للإخوان المسلمين باعتبارها شعاراً للإسلام في كل نظمه وتشريعاته[221]. إلا أنه استبعد استخدام القوة وسيلة مثلى للتغيير، مقرراً أن (الإخوان المسلمين أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر، فلا يغوصوا إلى أعماقها ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة، قوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدها قوة الساعد والسلاح. ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً)[222]. وكان البنا يؤمن بأن لاستخدام القوة شروطاً حددها الإسلام، بالإضافة إلى أن القوة لا تكون أول العلاج، ومن ثم رأى أن من الواجب أن يوازن الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف[223]. واستناداً لتلك الرؤية عارض البنا الثورة الجماهيرية غير المنظمة، واعتبرها أعنف مظاهر القوة، موضحاً أن الإخوان لا يفكرون فيها ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها[224]. وانتقد البنا (الثورة الهوجاء

---

(218) العروسي، محمود كامل. **أشهر قضايا الاغتيالات السياسية**، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ط1، 1989م، ص405.

(219) انظر: دكمجيان. **الأصولية في العالم العربي**، مرجع سابق، ص 41، 60.
- رمضان، عبد العظيم. **تطور الحركة الوطنية في مصر**، مرجع سابق، ص297-302.

(220) Hodson, Michael C. "Islam and Political development," in Esposito, John L., ed. *Islam and Development*. New York: Syracuse University Press, 1980, p. 11.

(221) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة المؤتمر الخامس، مرجع سابق، ص135.

(222) المرجع السابق، ص135.

(223) المرجع السابق، ص135.

(224) المرجع السابق، ص136.

التي لا غاية لها، ولا ضابط ولا نظام ولا حدود ولا تعقيب إلا الهلاك والدمار والخسارة البالغة)[225].

ذلك يعني أن المنهج الثوري عند حسن البنّا لا يقر العنف والانقلاب السياسي كوسيلة من وسائل التغيير، ولكنه يعتمد على وسائل النضال السياسي السلمي، ويبدو ذلك في توجيهه لأتباعه بقوله: (أيها الإخوان لستم جمعية خيرية، ولا حزباً سياسياً، ولا هيئة موضوعة لأغراض محددة المقاصد. ولكنكم روح جديد يسري في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله...)[226]. (فلستم طلاب حكم ولكنكم طلاب منهاج وإصلاح ومبدأ...)[227]. وبذلك حدد منهجه الثوري في إطار الكفاح السلمي. وعلى هذا الأساس حدد البنا عدة قواعد للمعارضة السياسية التي يجب أن تتبناها حركة الإخوان المسلمين تتضمن الآتي:

- ألا تكون الخصومة بينهم وبين الناس خصومة أشخاص ولا ذوات، بل خصومة عقائد ومناهج.
- عدم التهكم بخصومة حكومة من الحكومات الإسلامية أو هيئة من الهيئات العامة.
- أن تكون المعارضة من باب النصيحة لا التشهير والفضيحة وأن تبنى على السلم والحب لا على التصادم والحرب[228].

وبذلك تأكد التزام البنا بمنهج السلف من أهل السنة، القائم على عدم مشروعية الخروج على السلطة. ورفض استخدام العنف والقوة في التغيير*.

---

(225) المرجع السابق، رسالة "مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي"، ص301.
(226) المرجع السابق، رسالة "بين الأمس واليوم"، ص110.
(227) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص266.
(228) المرجع السابق، ص266.
(*) عارض البنا في رسالة "المؤتمر الخامس "أسلوب العنف الذي اتبعه أعضاء حزب مصر الفتاة من تحطيم الحانات ومحلات الخمور. وكذلك أنكر جريمة اغتيال النقراشي -رئيس وزراء مصر- الذي اتهم فيها أحد المنتسبين للإخوان، وأصدر بياناً يتبرأ من تلك الجريمة، تحت عنوان ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين، وشجب الإرهاب والعنف، =

وقد كشف "توفيق الواعي" أن وصف البنا للإخوان بأنها دعوة سنية يعني أنه لا يخرج عن منهج أهل السنة في مسألة المقاومة المسلحة، ومن المعلوم أن منهج أهل السنة يمثل مدرسة الصبر، مما يعني أن وسائل التغيير عند البنا تتحدد في إطار (النضال الدستوري)[229]. وتمثل هذا النضال في عقد المؤتمرات الشعبية التي استهدفت شرح الحقوق القومية والسياسية للمواطنين، وتنظيم المظاهرات السلمية أمام قصر عابدين، وتنظيم الإضرابات، وإصدار البيانات إلى الشعب والحكومات للمطالبة بالإصلاح والتغيير[230].

مما سبق يمكن القول إن حسن البنّا قد حدد ضوابط للثورة الإسلامية، تعتمد على فكرة الجهاد والنضال السلمي. ومن هنا وصفت حركة الإخوان المسلمين بأنها كانت التعبير العصري الأول للمعارضة المنظمة فيما بين عامي 1930 و1940[231]. حيث دعا البنا إلى النضال والكفاح، مؤكداً على أهمية هذا الجهد من أجل نهضة الأمة حيث يقول: (إن الأمة التي تحيط بها ظروف كظروفنا وتنهض لمهمة وتواجه واجبات كتلك التي نواجهها، لا ينفعها أن تتسلى بالمسكنات أو تتعلل بالآمال...وإنما عليها أن نعلم أن الجهاد من الجهد والجهد من التعب والعناء)[232]. وخلاصة القول أن مفهوم التغيير الاجتماعي عند البنا حمل أبعاداً ثورية تتجلى في قوله: (نحن نريد نفوساً متأججة وأرواحاً طموحة متطلعة متوثبة تتخيل مثلاً عليا وأهدافاً سامية لتسمو نحوها...)[233]. وهذا ما أعطى معنى الثورة عند البنا ملامح خاصة وخصائص متفردة.

= مشيراً إلى التزام الإخوان بالوسائل الإسلامية في الدعوة والتي سجلها القرآن الكريم في قوله تعالى: (ادعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة).

انظر: نص البيان (في) العروسي. **أشهر قضايا الاغتيالات السياسية**، مرجع سابق، ص499.

(229) الواعي. **الفكر السياسي المعاصر عند الإخوان المسلمين**، مرجع سابق، ص311.

(230) **لمزيد من التفاصيل**: أبو فارس، محمد عبد القادر. **الفقه السياسي عند الإمام الشهيد حسن البنّا**، طنطا: دار البشير للثقافة والعلوم، 2001م، ص 95-101.

(231) Hodson, Michael C. "Islam and Political development," in John L. Esposito, ed. *Islam and Development*. 1980, p. 20.

(232) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "هل نحن قوم عمليون"، مرجع سابق، ص69.

(233) المرجع السابق، رسالة "دعوتنا في طور جديد"، ص233.

4 - أهداف التغير الاجتماعي

كان الشيخ حسن البنّا يرى أن قضية التغير العالمي يجب النظر إليها في إطار شمولية الإسلام والوحدة الإنسانية. وذلك لأنه آمن بأن النداء الذي يتكرر في القرآن (يا أيها الناس) لطيفة اجتماعية تشير إلى أن هذه المساواة تنتظم الناس جميعاً، فهي بمثابة إعلان للوحدة الإنسانية[234]. وبرغم إقراره بتلك الوحدة الإنسانية، فقد كانت نظرته للعلاقة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية تركز على الصراع الاجتماعي الثقافي بين الغرب والإسلام. وقد أشار البنا إلى استفادة الأمم الأوروبية من اتصالها بالإسلام خلال الحروب الصليبية، مما أكسبها شعوراً بالتوحد السياسي إلى جانب إفادتها من ذلك باليقظة الذهنية والعقلية واكتسابها علوماً ومعارف أسست عليها نهضتها العلمية التي سارت جنباً إلى جنب مع نشأة الدولة القوية في الغرب. حيث تشكلت الحضارة الغربية على أسس مادية بحتة[235]. ومن هنا ذهب البنا إلى أن طغيان النظرة المادية وجعلها المقياس في كل شيء وإقصاء الدين عن مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية، جعل الحضارة الغربية تناقض الأصول التي قررها الإسلام وجعلها أساساً لحضارته التي جمعت بين الروحانية والمادية جميعاً[236].

وبهذا انتهى البنا إلى جوهر الصراع بين الحضارتين الغربية والإسلامية. واعتراف بانتصار الحضارة الغربية بمبادئها المادية، إلا أنه كان متفائلاً بأن الوقت قد حان لتراجع تلك الحضارة، نظراً لعجزها عن تأمين المجتمع الإنساني وفشلها في إسعاد الناس، رغم ما فتحت عليهم من حقائق العلم والمعرفة وما وفرته لهم من أسباب الغنى والثراء[237]. ومن هنا توقع انهيار

---

(234) البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص470.

(235) القرضاوي، يوسف. **الإخوان المسلمون: 70 عاماً في الدعوة**، مرجع سابق، ص138-139.

(236) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "بين الأمس واليوم"، ص 103.

(237) المرجع السابق، ص104.

الحضارة الغربية نتيجة العدوان الإمبريالي الذي أدى إلى تنبيه المشاعر القومية لدى الشعوب المستعمرة، بالإضافة إلى الطغيان الاجتماعي الذي أثر في انتعاش الفكرة الإسلامية[238]. وعلى ذلك رأى البنا أن المدنية الغربية التي أخضعت العالم كله بنتائج العلم تفلس الآن، فأصولها السياسية تقوضها الدكتاتورية، وأصولها الاقتصادية تجتاحها الأزمات، وأصولها الاجتماعية تقضى عليها المبادئ الشاذة والثورات المندلعة في كل مكان[239].

هكذا فسر البنا الحركات الثورية في أوروبا الحديثة باعتبارها مقدمة لانهيار الحضارة الغربية. وربما أوحت مجريات الأحداث في الفترة التي عاشها البنا بهذه المؤشرات، حيث عاصر الحرب العالمية الأولى والثانية، وعاش مجموعة من الأزمات السياسية والاقتصادية التي ضربت العالم كله. ولكن هناك من انتقد البنا ورأى في آرائه السابقة دليلاً على قسوته في نقده للحضارة الغربية وكأنه لم يعترف لها بحسنة ولا مزية[240]. والحق أن البنا لم ينكر محاسن الحضارة الغربية ولم يفتن بها في الوقت نفسه، كما أنه أقر بمشروعية اقتباس كل ما هو حسن عن الغرب، على أن يكون نقلاً نقدياً فاحصاً*. مما يعنى أنه لم يكن يرى أن الصراع بين الغرب والإسلام يقضى بفناء كل عناصر الحضارة الغربية، ولكنه يصرح بالقول: (أنا من أولئك الذين ينادون بوجوب التوفيق بين القديم والحديث، وانتخاب الصالح من كل منهما، وإحياء حضارة الشرق وآدابه، وأن نأخذ من الغرب أسباب قوته المادية من علم وصناعة. فأحب شيء إلى نفسي التجديد المعتدل النافع بشرط

---

(238) المرجع السابق، ص 106.

(239) المرجع السابق، رسالة "نحو النور"، ص275.

(240) انظر: يوسف القرضاوي. **الإخوان المسلمون: 70 عاماً من الدعوة**، مرجع سابق، ص141

(*) كتب حسن البنّا لأحد تلامذته من المبعوثين إلى أوروبا يقول: (كن مع القوم بصيراً ومنصفاً خبيراً، لا تستهويك محاسنهم فتنسى مساوئهم ولا تؤلمك مساوئهم فتنسى محاسنهم، بل ادرسهم دراسة الفاحص المدقق... فما كان حسناً فأهده إلى أمتك وقومك... وما كان غير ذلك فألقه إليهم ولا تقم له وزناً...).
انظر: البنّا، حسن. **نظرات في كتاب الله**، مرجع سابق، ص13.

أن نحفظ على الشرق إيمانه وعاطفته، ونجنبه جحود الغرب وماديته...)[241]. واعتبر البنا الحفاظ على النسق الديني شرطاً لفوز الحضارة الإسلامية في صراعها مع الحضارة الغربية. ورأى أن الأصول النظرية والعلمية للنظام الاجتماعي القرآني الذي قامت عليه الدولة الإسلامية في الماضي قد تأسست على هذه القاعدة التي جعلت الحضارة الإسلامية تتغلب على الحضارات الأخرى وأن تصبغها بصبغة إسلامية، ولم يمنعها ذلك أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعاً من غير أن يؤثر ذلك في وحدتها الاجتماعية والسياسية[242].

وعلى ذلك فإن فكرة التقدم الإنساني تعد أحد الأهداف الرئيسة التي حددها البنا للتغير الاجتماعي، وهي في تصور البنا تشترط العودة إلى تعاليم الإسلام وتطبيقها تطبيقاً سليماً. إلى جانب الاقتباس من كل فكرة قديمة أو حديثة، شرقية أو غربية، بما لا يتنافى مع التعاليم الإسلامية[243]. وعلى ذلك تكشف آراء الشيخ حسن البنّا عن مشروع تغييري واسع النطاق. فلم يكن يدعو إلى نهضة المجتمع المصري فحسب، ولا إلى نهضة الأمة الإسلامية فقط، بل كان يتطلع إلى تغيير عالمي ينقذ الإنسانية كلها من حالة الانحطاط المتمثلة في المدنية العصرية الزائفة أحادية الرؤية التي تأسست على التقدم المادي فقط. ولذلك كان يأمل في انتقال الإنسانية إلى مدنية الإسلام التي اعتبرها المنقذ للعالم الحائر المضطرب. وقد عبر عن ذلك بقوله: (إن العالم كله حائر مضطرب، وكل ما فيه من النظم قد عجز عن علاجه ولا دواء له إلا الإسلام...)[244]. ولذلك نادى البنا بإقامة دعائم الحياة الاجتماعية في كل مظاهرها على قواعد الإسلام، موضحاً أن الإسلام (جاء للناس فكرة سامية تحدد الأهداف العليا وتضع القواعد الأساسية، وتتناول المسائل الكلية، ولا تتورط في الجزئيات، وتدع ذلك للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن

---

(241) المرجع السابق، ص13.

(242) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، "بين الأمس واليوم"، مرجع سابق، ص95-96.

(243) البنّا، حسن. **مذكرات الدعوة والداعية**، مرجع سابق، ص299.

(244) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، رسالة "إلى الشباب"، مرجع سابق، ص176.

تفعل فعلها وتتسع لها جميعاً ولا تصطدم بشيء منها... وليست في الدنيا شريعة تقبل التطور وتساير مقتضيات التقدم وتتمتع بمعاني المرونة والسلاسة والسعة كشريعة الإسلام)[245].

انطلاقاً مما سبق، كان مشروع التغيير في رؤية البنا يمثل مشروعاً حضارياً إسلامياً عالمياً، فلم يكن مجرد استجابة للتحدي الخارجي القوى الذي يواجه الأمة الإسلامية، ولم يقتصر على البحث عن حلول للخروج من الأزمة السياسية والاجتماعية التي عانت منها المجتمعات الإسلامية، ولكنه مشروع واسع النطاق يسعى إلى الخروج من الأزمة العالمية التي تهدد البشرية كلها شرقاً وغرباً.

ولئن كان المشروع التغييري الذي قدمه البنا يكشف عن عدم معاداته للحضارة الغربية، إلا أنه يؤكد عدم انسجامه معها إلى حد كبير. حيث يذهب إلى أن الإسلام لا يعادى غير المسلمين، غير أنه كان يأمل أن يُظهر الله دينه ويجمع الناس عليه. ويمكن القول أن رؤية البنا حول التغيير الحضاري العالمي وثقته في أن يقود الإسلام البشرية كلها، تأسست على يقين بحتمية نجاح هذا المشروع، استناداً إلى قول الله تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)[246]. وبذلك اعتبر البنا أن نهضة الأمة الإسلامية هدف مرحلي يمهد لهدف أسمى يتمثل في تغيير العالم ونهضة الإنسانية، ولذا حدد مهمة الإخوان المسلمين في الوقوف في وجه الموجة الطاغية من المادية وحضارة المتعة والشهوات التي حرمت العالم من أنوار هداية القرآن، وأخرت تقدمه مئات السنين[247]. وعن هذا الهدف يقول البنا: (أما العالمية أو الإنسانية فهي هدفنا الأسمى وغايتنا العظمى وختام الحلقات في سلسلة الإصلاح، والدنيا صائرة إلى ذلك لا محالة.. وهي خطوات إن

---

(245) المرجع السابق، رسالة "مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي"، ص305.

(246) الخطيب، محمد عبد الله. **الإمام حسن البنّا: داعية... مجاهداً... شهيداً**، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، 1999م، ص40.

(247) البنّا، حسن. **مجموعة رسائل الإمام**، "الإخوان المسلمون تحت راية الإسلام"، مرجع سابق، ص 191.

أبطأ بها الزمن فلابد أن تكون...)[248]. وهكذا اعتبر البنا أن انتصار الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية، السبيل إلى تقدم العالم وإنقاذ الإنسانية من الانحطاط الغربي.

رابعاً: استنتاجات

1. أسس الشيخ حسن البنّا تيار التغيير الثوري الحركي بهدف التغيير الاجتماعي الشامل اعتماداً على الأسلوب الثوري والمنهج الحركي. وكان للتحولات الاجتماعية والسياسية التي شهدها المجتمع المصري أثر كبير في تشكيل فكر البنا ومنهجه العملي.
2. صاغ حسن البنا العقيدة الفكرية للإخوان المسلمين على أنّها حركة جماهيرية للنهضة، تعتمد على القوى الاجتماعية المختلفة في دفع التغيير الاجتماعي، ووضع فكر الإخوان على أساس تجاوز مبدأ التجديد النظري والفكري، ليؤكد مبدأ التجديد العملي الفاعل سعياً إلى إقامة مجتمع إسلامي حديث، يستمد أسسه وأصوله من قواعد الشريعة الإسلامية بما يتفق مع روح العصر الحديث، ومقتضيات التقدم الإنساني.
3. قدم الشيخ حسن البنّا رؤية إسلامية متكاملة لمفهوم التغير الاجتماعي الشامل، استناداً إلى مجموعة من السنن والقوانين الحاكمة للتغير التي تحدد اتجاهه ومساره ووسائله،وحدد غاية التغير الاجتماعي في إقامة دعائم الحياة الاجتماعية على أسس إسلامية، ورأى أن التغيير الاجتماعي يشترط الالتزام بضوابط أخلاقية، ومن ثم يستلزم مثلاً عليا.
4. اعتمد الشيخ حسن البنّا على وسيلتين للتغيير الاجتماعي هما: التربية والثورة. واعتبر التربية علاجاً للنفس الإنسانية، ومقدمة أساسية لبناء الأمم التي تتطلب بناء الإنسان أولاً، أما الثورة فكانت التعبير العصري عن الجهاد الإسلامي بكل أبعاده ومراتبه، ومن هنا أقر البنا القوة وسيلة للتغيير، ولكنه رفض العنف والإرهاب، مفضلاً وسائل النضال السياسي

(248) المرجع السابق، رسالة "دعوتنا في طور جديد"، ص231.

السلمي والمعارضة السياسية السلمية، كما أكد على مبدأ التخطيط والتدرج المرحلي في تنفيذ عملية التغيير، ورأى أن أهم عناصر التخطيط تقوم على تواصل الجهود عبر الأجيال وتتابع البناء خلال مراحل زمنية متوالية.

5. ناقش البنا مفهوم التغير الاجتماعي من خلال نمطين للتغير: الأول نمط الدورة الحضارية التي تتم في إطار ثنائية (النهضة-الانحطاط)، وحدد ثلاثة مستويات للنهضة شملت الفرد والأسرة والمجتمع. وفي سياق عرضه لأصول النهضة وشروطها، اهتم البنا بتوضيح القوى الدافعة للتغيير، موضحاً أهمية القيادة ودورها الجوهري في تحقيق التغيير الاجتماعي، ومن جانب آخر ألقى الضوء على مسؤولية القوى الاجتماعية المختلفة ودورها الحيوي في نجاح عملية التغيير المنشود. والثاني نمط التغيير التطور التقدمي. حيث استخدم فكرة التطور في رسم مشروعه الإسلامي للتغيير الحضاري العالمي الذي يقوم على الصراع الثقافي والاجتماعي بين الغرب والإسلام. وذهب إلى حتمية انهيار الحضارة الغربية وانتقال الإنسانية إلى مدنية الإسلام. موضحاً أن تلك هي الغاية العظمى لحركة التغير العالمي.

obeikandl.com